النفس والقيامة

حوار للقديس اغريغوريوس النيصى
مع القديسة ماكرينا



تعريب
القمص / أشعياء ميخائيل

النفسُ والقيامَة

حوَار للقديس إغريغوريوس النيصي
مَع القديسَة ماكرينا

تعريب

القمّص / أشعيَاء ميخائيل

الكتاب : النفس والقيامة .

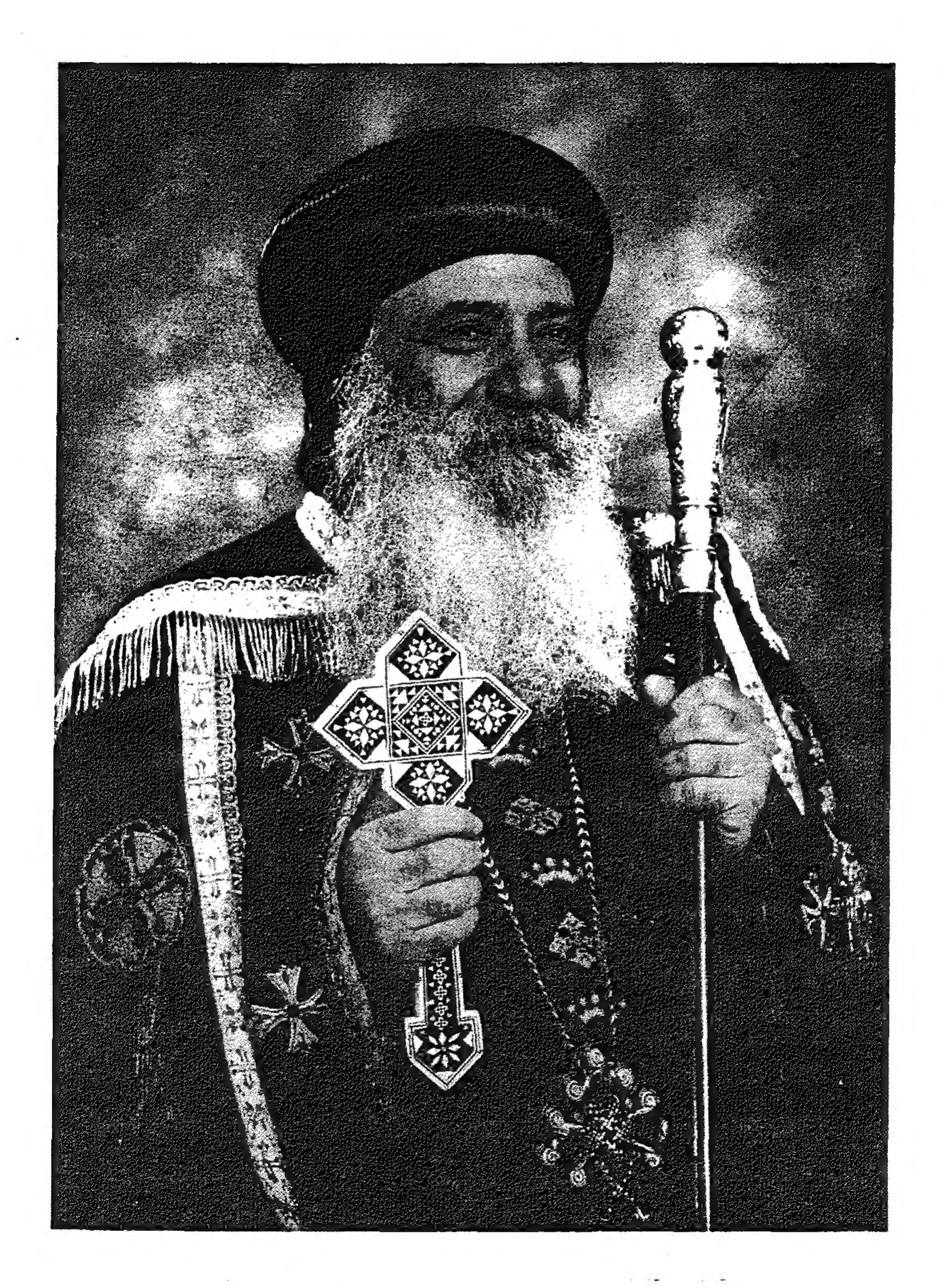
المؤلف : القمص اشعياء ميخائيل .

الطبعة : الأولى ١٩٩٧ .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٧/٣٦٧١

977 - 19 - 2938 - 0



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

المقدمة

الحوار الذى سجله هذا الكتيب مترجم عن كتاب «*THE FATHERS OF THE CHURCH; SAINT GREGORY OF NYSSA, ASCETICAL WORKS*» وهو الفصل السادس تحت عنوان «*ON THE SOUL AND THE RESURRECTION, p. 195-275*» .

وقد سبق ترجمة وصدور ثلاث كتيبات من هذا الكتاب تحت عنوان «من هو المسيحى ـ الكمال المسيحى ـ السلوك المسيحى» ، وبصدور هذا الكتيب الرابع يكون قد تبقى فصلين فقط من هذا المرجع ـ الأكثر من رائع للقديس اغريغوريوس أسقف نيصص ـ أحدهما عن البتولية والثانى عن حياة القديس ماكرينا ، ونرجو من الله بصلوات القارئ العزيز أن يتم ترجمة ونشر هذين الفصلين ثم تُجمع جميع الكتيبات فى كتاب واحد لنفاذ ما صدر فى هذا الشأن .

أما موضوع هذا الكتاب «النفس والقيامة» فهو عبارة عن حوار بين القديس اغريغوريوس وشقيقته القديسة ماكرينا ، والقديسة ماكرينا شقيقة لكل من القديس اغريغوريوس أسقف نيصص والقديس باسيليوس الكبير والقديس بطرس أسقف مدينة سبسطية ، والقديسة ماكرينا هى رئيسة دير للراهبات وكانت ايضاً بمثابة مرشدة روحية لأشقائها .

وهذا الحوار المسجل هنا يدور حول حقيقة القيامة وخلود النفس وقدرة الله على القيامة وتأثير كل ذلك على سلوك الإنسان ، وإن كان الأسلوب الفلسفى والمنطقى هو الذى يسود على الحديث... إلا أن الفائدة الروحية عميقة جداً .

ولا يفوتنا أن نطلب من الله أن يعوض الإبنة **الدكتورة چيهان رمزى** على تعبها فى إصدار هذا الكتاب .

الرب يبارك كل نسخة من هذا الكتاب ويستخدمها لمجد اسمه القدوس وخلاص

نفوسنا بصلوات العذراء القديسة مريم وصلوات **قداسة البابا شنوده الثالث** أدام الله حياته للكنيسة ونفعنا ببركة صلواته وتشجيعه .

٦ مارس ١٩٩٥م

الاثنين الثانى من الصوم المقدس

القمص

اشعياء ميخائيل

عن النفس والقيامة

فى الوقت الذى إنتقل فيه باسيليوس ـ العظيم فى القديسين ـ إذ فارق الحياة وانتقل إلى الله ، فى ذلك الوقت عم الحزن الكنائس ، وكانت وقتئذ أختى ومعلمتى ما زالت بيننا ، فأسرعت إليها لكى أخبرها بالنبأ المحزن عن أخينا باسيليوس وكانت نفسى حزينة إذ تألمت لهذه المحنة ، وقد كنت أتوق لأن يشاركنى أحد الناس دموعى ، يكون قد عانى من نفس هذه الفاجعة ، وعندما تقابلنا جدد منظر معلمتى الأحزان فى داخلى لأنها كانت مريضة وعلى وشك الإحتضار ، ولكنها ـ على أية حال ـ سمحت لى أولاً أن أسكب أمامها بعضاً من أحزانى شأن البارعين فى فن الفروسية لتخفف عنى ألامى ، وبعد ذلك حاولت تهدئتى موجهة إضطرابات نفسى طبقاً لأرائها كأن بيدها لجاماً ، وذكرت هذا القول الرسولى:

ماكرينا: ليس من الصواب أن نحزن على الراقدين الذين رقدوا على رجاء القيامة لأننا نعرف أن الحزن يجوز فقط على الذين لا رجاء لهم (١تس٤:١٣) .

اغريغوريوس : ولكننى ، وما زال قلبى يعصر ألماً ، سألتها: كيف يمكننى أن أصل لهذه القامة؟ نظراً لأن ثمة كراهية طبيعة الموت فى أحاسيس كل إنسان منا ولا يستطيع أحد أن يتحمل مواجهة إحتضار الاخرين ، والذين يحتضرون أنفسهم يحاولون مقاومة الموت بقدر طاقتهم ، لأن الموت هو أقصى عقوبة شرعت فى القانون لمعاقبة المجرمين ، فكيف لنا أن نفكر أن الإنتقال من هذه الحياة ليس شيئاً بسيطاً حتى لو كان لأناس غرباء عنا؟ ولن أقول لو فاجأ الموت أحد الأصدقاء المقربين؟ بل أكثر من هذا أننا نلاحظ أن كل سعى بشرى لهو موجه بالتحديد نحو هذا ، كيف نبقى على الحياة البشرية؟ حتى المنازل تم تصميمها بعد وضع هذا السؤال فى الاعتبار حتى لا تتأذى أجسامنا من الحرارة الشديدة أو من البرودة القاسية!! أوليست الزراعة سوى معنى من معانى البقاء؟ أليس هذا كله يتآزر معاً خوفاً من الموت؟ ثم ماذا عن الطب؟ لماذا هو مكرم جداً عند الناس؟ أليس لأنه من خلال هذا العلم أصبح من الممكن محاربة الموت؟ ولماذا وجدت دروع الصدر والتروس والمجن ودرع حماية الساق والخوذة والبنادق الدفاعية

والحصون والبوابات الحديدية والخنادق وغيرها من هذه الأشياء إلا بسبب الخوف من الموت ، فإذا كان الموت بطبيعته مرهوباً فكيف لنا أن نصدق من يقول لنا الا نحزن عندما يموت شخص ما؟

ماكرينا: سألت معلمتي: وماذا عن الموت ذاته الذى يبدو مخيفاً لك أنت بالذات؟ بالتأكيد أن الإجماع على خطأ إعتقادك ليس كافياً لكى يجعلك تعدل عنه .

اغريغوريوس: أجبت قائلاً: ألا يستحق الأمر الواقع هذا الحزن؟ أن نرى شخصاً ما وقد كان حياً يتحدث بقوة وفجأة بلا نفس ولا صوت ولا حركة وقد انقطعت كل سبل إتصاله بالعالم فلا يرى ولا يسمع ولا يمارس أى نشاط من الأنشطة الطبيعية الاخرى؟ حتى لو قربت إلى جسده ناراً أو حديداً محمياً أو نشرت جسده بمنشار أو نهشته الحيوانات المتوحشة أو واريته التراب فإن الجسد سوف يستجيب لكل هذا بنفس الطريقة حيث أنه ميت .

حينما نرى هذا التغير فإن غريزة حب البقاء تقوى وتلمع أكثر ، تنتهى الحياة وتعود لنقطة البداية وتخبو الحياة وهى التى كانت تشتعل منذ قليل وتختفى تماماً ولا تعود ثانية كيف يستطيع أى شخص أن يتحمل هذا التحول خاصة وهو يتناول حقيقة ليست مؤكدة؟

فعندما نسمع عن إنفصال النفس فإننا نرى ما يتبقى ولكننا لا نعرف ما الذى فارق ، ما هى طبيعته! وإلى أين يذهب! ولا يستطيع الهواء أو الأرض أو الماء أو أى من هذه العناصر أن تحدد لما القوة التى فارقت الجسم حال موته وخلفت وراءها الجسد فريسة للتحلل ، وبينما أنا أتكلم عن هذه الأشياء وجدت معلمتى ترفع أصبعها وتقاطعنى .

ماكرينا: أليس هذا هو ما يقلقك ويحيرك؟ الخوف من عدم خلود النفس إلى الأبد والخوف من فنائها مع تحلل الجسد؟

اغريغوريوس: حينئذ ولأننى لم أتخلص بعد من حزنى فقد أجبت بوقاحة وبعدم الاعتبار الواجب ، فقلت أن كلام الكتاب المقدس كأنه مثل الأوامر التى تجبرنا أن نصدق أن النفس تبقى للأبد ، إننا لم نتوصل لوجهة النظر هذه بأى نوع من المنطق ، ولكن عقلنا قد استعد ليتقبل ما أمر به بسبب الخوف ولكنه لم يوافق على ما قيل بإرادته

ابدأ ، وقد كان نتيجة هذا أن حزننا على من يموتون يزداد أكثر لأننا لا نعرف على وجه التحديد إذا كانت الحقيقة التى تقول بعودة الحياة صحيحة أم لا ومتى؟ وكيف؟ أم أنها غير صحيحة من الأساس؟ وعدم التيقن من الحقيقة تخلق تخيلات على النقيضين .

هناك كثيرون لديهم وجهات نظر وآخرون كثيرون لديهم وجهات النظر المضادة ، وهناك أشخاص معينة من بين اليونانيين وهم من الفلاسفة المتميزين لديهم مثل هذه الآراء وينصبون عليها .

ماكرينا: قالت: دع عنك هذا الهذيان الوثنى حيث أن مخترع الكتب (الشيطان) يحاول إقناع الناس بمخاوف لكى يزيف الحقيقة . انظر للموضوع بهذه النظرة ، إن إتخاذك لذلك الرأى والموقف تجاه النفس ليس أكثر من إبعاد نفسك عن طريق الفضيلة والتركيز على التمتع الوقتى فقط ، إن النظر إلى الحياة بهده الطريقة الدنيوية هو بلا رجاء ، والرجاء هو الذى يعطى للفضيلة أهميتها القصوى .

اغريغوريوس: ولكن كيف هذا؟ قلت: كيف نصل إلى نظرية أو رأى ثابت بعض الشئ ولا يتغير فيما يتعلق ببقاء النفس وعدم موتها؟ ولكننى شخصياً اعتقد أن الفضيلة ناقصة إن لم يترسخ فينا إيمان ثابت بخصوص هذا الموضوع ، إذ كيف تجد الفضيلة مكانها بين أناس يؤمنون بأن الحياة الحاضرة هى فقط حدود البقاء وأنه ليس هناك ما يرجونه أكثر من هذا؟

ماكرينا: أجابت معلمتى: يجب أن نسأل أنفسنا ما هى نقطة البداية الثابتة التى يمكننا أن نبدأ بها مناقشة هذه الأمور ، وإذ وافقت فلنجعل الدفاع عن وجهة النظر المضادة مسئوليتك أنت ، لأننى أرى أن أراءك تجاه هذا ليست مستقرة ، وعندما نثبت صحة وجهة النظر المضادة لك سوف نستطيع أن نفحص البراهين الحقيقية لها .

اغريغوريوس: ولكونها طلبت هذا فقد رجوتها أن لا تعتقد أننى أقدم البراهين المضادة لوجهة نظرها ولكن كل ما فى الأمر أننا نريد أن نثبت الحقيقة إذا ما دحضنا وجهة النظر المضادة لها .

ثم بدأت المناقشة بقولى: الذين يدعمون النظرية المضادة سوف يقولون أن الجسم بما أنه مركب فإنه سوف يتحلل بتحلل العناصر المكونة له ، وكل عنصر سوف يعود إلى

أصل المادة التى أخذ منها ، هذا من حيث المنطق ، عنصر الحرارة سوف يعود للحرارة والتراب يعود التراب واليابسة وكل عنصر من العناصر الباقية سوف يعود إلى أصله .

ولكن أين تكون النفس بعد أن يحدث هذا؟ إذا قال أحد أنها ضمن هذه العناصر فهو سوف يوافق بالتأكيد أنها تشابه هذه العناصر تماماً ، لأن إمتزاج عنصر مع آخر يختلف عن طبيعته هو شئ مستحيل ، وإذا فرضنا أن حدث ذلك فإنه سوف ينتج عنه شئ مركب ومعقد تماماً مكوناً من عناصر متضادة ، وعلى أية حال فإن الشئ المركب ليس بسيطاً بطبيعة الحال ولكن ينظر إليه على أنه مكون صناعى ، كل شئ مركب هو قابل للإنحلال بطبيعته لأن التحلل فى حد ذاته ما هو إلا إنفصال وتلف لمكوناته ، وما هو قابل للتلف فهو ليس باقياً خالداً ، وإلا كان هناك شئ آخر بجانب هذا فكيف يمكن إثباته؟ حيث أنه ليس له وجود فى العناصر وحيث أنه ليس هناك شئ آخر فى العالم يمكن أن تعيش فيه النفس حيث تتناسب النفس مع طبيعته .

ماكرينا: وقالت معلمتى وهى متأملة لما قلته لها: ربما كانت هناك بعض البراهين المماثلة التى تبعها أنصار زينون والأبيقوريين (الفلسفة الأبيقورية هى التى تدعو لمحاولة جعل الحياة سعيدة عن طريق ممارسة الملذات الجسدية) للأباء الرسل فى أثينا (أع١٧ :١٨) لأننى أعرف أن أبيقور يدعم مذهبه بإفتراض أن معرفة الحقيقة تنشأ بالصدفة وتلقائياً حيث أنه لا توجد وصاية للحكم على الأشياء ، كما تصور أبيقور أن حياة الإنسان مثل فقاعة نتجت عن بعض الهواء الموجود فى أجسامنا طالما أن الهوا. يتفوق على ما يحيط به ، ولكن ما تخلف عنه بعد ذلك قد دمره إنفجار ذرى .

لأن ـ من وجهة نظره ـ الحقيقة محدودة بالمحسوسات إذ أنه جعل الأشياء المحسوس هى مقياس إدراك كل شئ .

فهو قد أغلق عينيه تماماً عن محسوسات النفس وكان عاجزاً عن تحقيق أى شئ معنوى ، تماماً مثل شخص تم حبسه فى بيت صغير فهو محروم من رؤية عجائب السموات ، إذ أن الجدران والسقف قد عزلته عن رؤية ما بالخارج ، وهناك جدرا حقيقية تمنع صغار النفوس من التأمل فى الأمور الجلية ، فهذا النوع من الناس ينظ إلى الأرض فقط حيث الماء والهواء والنار ، ولصغر نفسه فهو ليس قادراً على أن يدر

متى وجدت هذه الأشياء ، وما الذى يحكمها وكيف ، فعندما نرى ثوباً نعرف أن هناك من نسجه ، وعندما نرى سفينة فإننا نفكر فيمن بناها ، وعندما نرى منزلاً نضع فى ذهننا من أقامه ، وعلى أية حال فإن من ينظرون للعالم وما به عاجزون عن رؤية بعض الأشياء الواضحة فيه... ونتيجة لهذا فإن الناس التى لها نظرة سطحية هم أناس مفتونون بهؤلاء الذين يفلسفون الأمور الخاصة بزوال النفس قائلين أن الجسم إنما يتكون من عناصر محددة وأن النفس لا يمكن أن توجد من ذاتها إن لم تكن أحد هذه العناصر ولذا فهى تتواجد مع هذه العناصر وإذا كان معارضونا يعتقدون أنه لنفس هذا السبب لا تتواجد النفس بعد الموت لأنها أحد العناصر التى تزول فإنهم يركزون برهانهم على أنه:

أولاً: أن الحياة فى الجسد هى بدون نفس نظراً لأن الجسد ما هو إلا اتحاد للعناصر المكونة له .

ثانياً: أنهم لا يعتقدون بأن النفس موجودة وأنها تمد الحياة بشئ ما لأنها لو كانت موجودة أصلاً طبقاً لرأيهم لكان لها إستمرارية بعد ذلك على عكس العناصر الأخرى التى تعود لأصلها ، هذا فضلاً عن أن تعاليمهم تنصب على أن حياتنا زائلة .

ولكنهم إن لم يكن لديهم شك فى أن النفس توجد الآن فى الجسد فكيف ينادوا بأن النفس تزول بمجرد إنحلال عناصر الجسد؟ ووقتها هل يجرؤا أن يقولوا نفس الشئ عن الروح القدس (الطبيعة الإلهية)؟ إذ كيف يحتملوا أن تكون هناك أشياء غير مادية ولا ترى كامنة فى الطين الرخو والحار واليابس وإذ هو موجود بالحقيقة فى هذه الأشياء إلا أنه يختلف عن هذه الأشياء نفسها ، وهل لا يمكن أن يكون فيها لأنه ليس من نفس طبيعتها؟ حينئذ دع الروح القدس نفسه الذى يحكم الحقيقة وينزع تماما من تعاليمهم.

اغريغوريوس: فقلت ولكن كيف يستطيع معارضونا أن يشكوا فى ذلك إذ أن كل الأشياء هى من الله ومحكومة تماماً بالله ، أو كيف ينكرون وجود شئ كلى القداسة يحتوى الخليقة كلها ؟

ماكرينا: أجابت: إنه لمن الحكمة أن نصمت ولا نرد على هذه الأسئلة وأن نعتبر حماقتهم وأرائهم الهزيلة ليست ذات قيمة تستحق الرد ، لأن الوحى المقدس نهانا عن ذلك قائلاً: «لا تجاوب أحمق بحسب حماقته» (أم٢٦: ٤) ولكن الأحمق بالنسبة

للوحي المقدس هو «الشخص الذى يقول ليس إله» (مز٥٢:٢) ، ولكن بما أنه من الضرورى أن نناقش هذا فسوف أخبرك ما هو برهانى أنا وليس برهان أى إنسان أخر ، إنها نقطة صغيرة مهما كانت ولكنها هى التى أعطاها لنا الخالق من خلال تساؤلات الخليقة التى فيها تصبح العين أذناً ، إنه البرهان الحكيم والبارع الذى ينسكب فى القلب لكيما نراه ، لأن الخليقة حدثت بصانع السموات (مز١٨:٢) كما قال الكتاب المقدس عندما يخبرنا عن مجد الرب بكلمات لا ينطق بها ، لاحظ تناسق الأشياء معاً ، السموات وعجائب ما تحت الأرض ، وهى عناصر تختلف تماماً عن بعضها فى طبيعتها ـ ولكنها نسجت معاً من خلال علاقة تفوق الوصف لنفس الغرض ـ حيث أن كلا منها لديه مقدرته الخاصة لكى يدوم متصلاً ببعض ، لا تنفصل عن بعضها فتصبح غير ممتزجة أو غير متشابكة بسبب خصوصية كل عنصر ـ ولا تدمر بعضها البعض ـ ولكنها تذوب كل فى الآخر برغم إختلاف نوعيتها .

فالأشياء التى من طبيعتها أنها ترتفع إلى أعلا نجدها تتجه إلى أسفل مثل حرارة الشمس التى تهبط مع أشعتها ، والأجسام الثقيلة تخف بواسطة التبخر وأداة للحمل حتى أن الماء يصبح عنصراً يرفع الأشياء هو ما يخالف طبيعته ، والماء هو الذى يحمله الهواء فى العواصف ، والبرق يتجه نحو الأرض ولا يحرقها بحرارته بل بسقوط الأمطار على الأرض ، وبرغم أن هذا بسيط فى طبيعته إلا أنه يترك وراءه ألاف البذار المختلفة التى تروى جيداً ، ثم هناك حركة الدوران المركزية للفلك وفى نفس الوقت الحركة العكسية لدوران كل نجم حول ذاته وهناك مدارات وإلتقاء وحركة هرمونية متناسقة للنجوم ، فعندما ننظر إلى هذه الأشياء بالعيون المتأملة التى للنفس فإننا نلمس فى كل هذا قوة روحية (إلهية) بارعة وحكيمة تظهر جلية فى كل الأشياء تتسلل إلى كل شئ وتجعل هناك تناسقاً بين الأجزاء والكل وتكمل الكل بالأجزاء وتحكم كل شئ بقوة واحدة تبقى فى ذاتها وتتحرك فى ذاتها ولا تتوقف حركتها ابداً ولا تغير مكانها الأصلى قط .

اغريغوريوس: قلت: ولكن كيف يؤدى الإيمان بوجود الله إلى إثبات وجود النفس البشرية؟ لأن النفس ليست مثل الله ، فإن كان المرء يؤمن بالله فهل لابد له من أن يؤمن بوجود النفس؟

ماكرينا: أجابت: ذكر فى سفر الحكمة أن الإنسان عالم صغير يحوى فى ذاته

إكتمالاً للعناصر التى تكون منها ، فإن كان هذا صحيحاً فإننا لا نحتاج لمزيد من البرهان لندعم بها وجهة نظرنا بخصوص النفس ، فنحن نعتقد بوجود النفس بطبيعة خاصة ومنفصلة ضمن نسيج الجسم لبشرى لأنه كما نعرف أن العالم كله من خلال المنظور الحسى الذى يقودنا من خلال حواسنا إلى تصور معين يعتمد على الحواس وتصبح عيوننا هى الحكم على كل قوة أو حكمة توجد فى أى شئ ويصبح حكمنا على كل شئ متوقفاً على ما تراه عيوننا فيه ، ولذلك فعندما تنظر إلى الإنسانْ أو العالم الصغير بداخلنا فإننا لا نجد نقطة بداية ولو صغيرة لكى نظن ماذا يختفى داخل الأشياء التى نراها لكن الشئ الخفى داخل الأشياء المحسوسة ولكونه معنوياً وغير منظور ، فإنه أبعد من أن تلاحظه أو تدركه حواسنا .

اغريغوريوس: قلت: نعم فإنه لمن الممكن أن تؤمن بالحكمة التى تغلف كل شئ من خلال الإبداع والبراعة المنطقية والتى تبدو بوضوح فى الطبيعة حيث تتناسق كل الأشياء المتضادة فيها .

ولكن ما هى المعرفة التى يمكن أن نستشمها عن النفس من خلال ما يستشفه الجسد من أمور غير منظورة فى الأشياء التى يراها وحسها؟

ماكرينا: أجابت البتول: إن النفس بذاتها هى معلم خاص مناسب جداً لتعلمنا الأمور المتعلقة بالنفس لهؤلاء الذين يرغبون فى معرفة أنفسهم طبقاً لهذا المنطق الروحى ، لأن النفس معنوية وليس لها مادة تعمل وتتحرك طبقاً لطبيعتها الخاصة وتعبر عن حركتها الخاصة من خلال أعضاء الجسم ، فالجسم الذى يتحول إلى جثة بعد الموت برغم وجود الأجهزة ولكن لغياب القوة الروحية فإنه يبقى بلا حراك أو نشاط ، فهناك حركة فقط عندما يكون هناك إدراك للأعضاء المختلفة حيث تسرى القوة الروحية فى الجسم بالإدراك حيث يبدو هذا أفضل له .

اغريغوريوس: قلت: وماذا بعد؟ هل يمكن للنفس ـ إن كان هذا يتفق مع طبيعتها ـ أن نحدها بشئ من العقل والمنطق؟ بحيث يمكن لنا أن نلاحظ ما يحدث بعيداً عن السطح من خلال هذا التحديد؟

ماكرينا: أجابت معلمتى: هناك وجهات نظر مختلفة بخصوص هذا الموضوع ، وكل

شخص يدافع عن وجهة نظره بصرف النظر عن أى شخص آخر ، ورأينا بخصوص هذا هو: أن النفس هى شئ موجود وحى ومعنوى وقادرة بذاتها على أن تجعل الجسم العضوى يدرك قوة الحياة طالما أن الطبيعة القادرة على إدراك هذه الأشياء تحتمل هذا .

وعندما قالت هذا أشارت إلى الطبيب الجالس بجانبها لعلاجها وعلقت بقولها: الدليل على كلامى هذا قريب إذ كيف يستطيع هذا الطبيب عندما يضع أصابعه على الشرايين أن يجد شيئاً من خلال حاسة اللمس يخبره عن معاناتى وألامى ومرضى (النبض) ؟ فإن المرض ينتقل من الأعضاء حيث ينشأ لها لكى نحس به فى مكان آخر ، وايضاً فإن الطبيب يعرف الشئ الكثير عندما ينظر إلى معالم (سحنة) المريض الداخلية مثل ضمور العضلات وايضاً شحوب لون البشرة يمكن أن يدل على مرض داخلى ، وايضاً فإن منظر العينين يمكن أن يعبر عن الحزن والإكتئاب الداخليين وبنفس الطريقة فإن السمع يصبح مرشداً لبعض الحقائق كأن يدرك الطبيب عن طريق التنفس القصير المتتابع وبعض الأعراض الأخرى التى تصاحب التنفس ، وربما يقول آخر أن حاسة الشم عند الطبيب تساعد فى تشخيص الأمراض الكامنة داخل الجسم عندما يشتم رائحة تنفس المريض .

ولكنك تتساءل ألا توجد هناك بعض القوى الواضحة فى كل من هذه الحواس؟ فمثلاً ماذا تستطيع اليدين أن تعرفنا إن لم يترجم الإدراك ما تحسه اليدان إلى معرفة الشئ الذى لمستهما؟ وماذا ينفعنا سماع الشئ إن لم ندرك ما نسمعه من أصوات؟ والعين والأنف ماذا لو إنفصلت كل منهما عن الإدراك؟ فإن هذا هو الشئ المؤكد وهو أن العقل هو الذى يرى وهو الذى يسمع عن طريق الحواس .

فمثلاً... إن لم يخبرك أحد كيف تنظر إلى الشمس نظرة عادية فتدرك أنها لها حجم مهول جداً وأنها أكبر من الأرض؟ كيف تعرف هذا بمجرد النظر إليها إن لم يكن معلمك قد أخبرك بهذا؟

وعندما تتابع حركة معينة بعقلك حيث تتقاطع الحركة ـ الفراغية مع العمودية ـ ثم تعرف سبب توقفها ، ألا يكون وقتها لديك الشجاعة أن تصف هذه الحركة بأنها كذا وكذا؟

ومن خلال خسوف القمر تتعلم أنه معتم وليس به ضوء فى ذاته بل أنه يدور حول

الأرض وأنها تعكس على القمر أشعة الشمس ، أى أنه لا يعطينا ضوءه الخاص بل يعكس لنا أشعة الشمس علي سطحه الناعم و ولكن الذى ينظر إليه نظرة مجردة يعتقد أن آلأشعة تأتى من القمر ذاته ، ولكن هذا ثبت خطأه طبقاً للنظرية التى تقول أن القمر عندما يواجه الشمس وجهاً لوجه فإن السطح الذى يواجهنا يلمع كله ، ولكن القمر من خلال دوراته حول الشمس تتغير مساحته التى تلمع حيث يكرر القمر هذه الدورة أكثر من ١٢ مرة كل عام .

إذا فمادة القمر خالية تماماً من الضوء ولكنه يكون مضيئاً تماماً إذا وقع مباشرة فى مواجهة قرص الشمس ، أما إذا واجه الشمس وكانت الأرض متوسطة بينهما فإنما يكون جزء من القمر فقط مضيئاً وهو الجزء المواجه للشمس الذى لم تحجبه الأرض عن الشمس فيصير القمر مواجهاً للشمس مباشرة ويضئ الجزء الذى كان معتماً من القمر وهذا تتكرر هذه الدورة كل شهر تقريباً .

هل رأيت كيف أننا بنظرتنا المجردة للأشياء سوف لا نعرف أياً من هذه الحقائق على الإطلاق إن لم يكن هناك شئ ما ينظر من خلال العين ثم يستخدم ما رأته العين كدليل يسترشد به وهكذا نتعرف على ما لا يرى بما يرى .

لماذا يكون من الضرورى إضافة إيضاحات جغرافية تقودنا من خلال الحواس إلى ما وراء المحسوسات مع أنه هناك من الدلائل ما لا يحصى ولا يعد وكلها تنتقل بنا من خلال حواس الجسد إلى إدراك الأشياء المعنوية الكامنة فيها .

اغريغوريوس: قلت: إن كانت هناك مادة معينة ومعروفة لعناصر الطبيعة الحسية فهناك ايضاً إختلافات فردية كبيرة بين كل شك من أشكال هذه المادة (أى أنه هناك حركة عكس الأخرى داخل المادة نفسها فبعض الجزيئات تصعد لأعلى والبعض الآخر يتجه لأسفل وشكل المادة ليس ثابتاً وايضاً وزنها ليس ثابتاً) فماذا لو أن شخصاً ما قال أن هناك قوة معينة تتعلق بتلك التى ـ طبقاً لهذه النظرية ـ تقوم بتنشيط هذه المناظر والحركات وهى ذاتية محضة؟ وكمثال فنحن نرى كثيراً من الأشياء التى أصبحت أكثر نشاطاً وسرعة باستخدام الألات ، فعن طريق ترتيب العناصر آلياً يمكننا تقليد كثيرمن الأشياء الطبيعية بحيث تشبهها ليس فقط فى الشكل ولكن فى الحركة ايضاً مثل آلة تسجيل

الصوت التى تعيد لنا سماع الصوت تماماً مثلما تكلم صاحبه .

ولكننا لم نستطيع بعد أن نتخيل أى قوة معينة تقوم بإعادة ترتيب عناصر المادة وتغير شكلها أو صوتها أو حركتها .

ثم ماذا لو تكلمنا عن الجهاز الحركي الخص بنا؟ فلن نجد هناك قوة معنوية ذاتية تنطلق منه ولكن هناك طاقة حركية كامنة فى عناصر أجسامنا وهذه الطاقة هى التى تخلق هذا التأثير الذى لا يتعدى أن يكون ـ حركة ـ كرد عملى يترجم رغباتنا .

فكيف يساعد هذا على إثبات وجود أو عدم وجود قوة معنوية غير مادية للنفس؟

ماكرينا: أضافت: إن هذا المثل الذى ذكرته أنت الآن يؤيد نظريتنا أكثر فكل معارضة تساق ضدنا تمثل الكثير من إثبات ما يمكن التوصل إليه بالعقل .

اغريغوريوس: ماذا تعنى بهذا؟

ماكرينا: قالت: أعنى لكى تستطيع أن تستخدم وترتب ألة غير حية فأنت تحتاج لبراعة فى تصنيع هذه الألات التى عن طريقها تكون الحركة أو الصوت أو ماشابه ذلك مطابقاً للطبيعى تماماً وهذا دليل على وجود شئ ما فى الإنسان وهذا الشئ بطبيعته قادر على استنباط وإعداد هذه الآلات بقوة ذكائه ، فهذا الشئ إنما يقود المخترع فى عمله من خلال البراعة لكى يثبت ذكائه فى استخدامه للعناصر المختلفة .

فهو أولاً يدرك أن الهواء مطلوب لإصدار الصوت ثم يحاول إدخال الهواء إلى الألة وإخراجه منها بطريقة معينة لتصدر الصوت المطلوب .

وطبقاً لطبيعة العناصر فليس هناك فراغ على الإطلاق ، فبالرغم من الإعتقاد بأن الضوء عبارة عن فراغ إلا أنه بمقارنة الضوء بشئ أثقل منه مثل الهواء مثلاً فإننا نكتشف أنه له مادة ، ويقال خطأ عن الأوعية الدموية أنها خالية لأنها حينما تكون خالية من الدم فإنها تكون مملوءة بالهواء كما يعرف كل إنسان متعلم مثقف ، والدليل على ذلك أنه إذا وضعت جرة خالية فى حوض مملوء بالماء ، فإنها لا تمتلئ لوقتها بالماء بل أنها تطفو على سطحه بعض الوقت أولاً نتيجة لإمتلائها بالهواء الذى يجعلها تطفو على السطح وتظل طافة حتى ندفعها بأيدينا إلى داخل الماء فإنها تغطس فيندفع الماء

داخلها من خلال فتحتها ، وهذا يؤكد أنها لم تكن خالية حتى قبل وضعها فى الماء ، هنا نرى أن هناك تضاداً بين اثنين من العناصر عند فوهة الإناء وهما الماء الذى يندفع إلى داخل الإناء من خلال فوهته والهواء الموجود أصلاً فى تجويفه والذى يندفع ايضاً عكس إتجاه الماء أى من الداخل إلى خارج الإناء من خلال نفس الفوهة ، فنجد هناك فقاقيع فى الماء نتيجة خروج الهواء إلى الماء مع حدوث غرغرة ، فإن الفنيين يلاحظون هذه الأشياء ويشيرون إلى مسار الهواء خلال هذه العملية واضعين فى اعتبارهم طبيعة العناصر الأخرى ، فإذا صنعنا صندوقاً مجوفاً من الخشب السميك ويدخل الهواء إليه من جميع الجوانب ومنعنا الهواء من الخروج من الصندوق ، ثم وضعنا الماء من خلال فتحة الصندوق بكمية معلومة ثم سمحنا بمرور الهواء من خلال أُنبوبة مستعرضة فإن الهواء سوف يندفع إلى الأنبوبة تحت ضغط نتيجة لدخول الماء إلى الصندوق محدثاً صوتاً ، ألا يبدو واضحاً من كل هذا أن كثيراً من الأشخاص يدركون شيئاً ما أبعد مما يرونه وهذا الشئ يخلق هذه الآلات من خلال قوة التفكير نتيجة لوجود بعض القوى الفكرية والغير مادية فى طبيعة الإنسان! فبإستخدام المادة بهذه الطريقة فإن الإنسان يستخدم قوة تفكيره الموجودة داخله .

وطبقاً للنظرية المادية فإن هذه الأشياء العجيبة يمكن أن نعزيها إلى طبيعة العناصر أى أن هذه الألات سوف تأتى للوجود من تلقاء نفسها ، فالبرونز مثلاً سوف لا يتنظر براعة الفنان النحات لكى يحوله إلى تمثال إنسان بل سوف يتحول إلى تمثال بطبيعته ، والهواء سوف لا يحتاج لأنبوبة يمر فيها محدثاً صوتاً بل سوف يصدر صوتاً من تلقاء ذاته ، وسوف يتحرك ويتموج بالصدفة المحضة ، ولا الماء يحتاج لوجود ألة ليتحرك لأعلى اى عكس طبيعته حيث أن الماء دائماً يتحرك لأسفل ، بل سوف يتجه لأعلى من تلقاء ذاته.

لا لا يحدث هذا ابداً من تلقاء ذاته بل يحدث طبقاً لبراعة فنية تحاول دائماً تحقيق الشئ على أفضل وجه ، وهذه البراعة الفنية هى نوع من العمل الذهنى الثابت نحو هدف معين باستخدام المادة والتفكير هو النشاط الخاص بالعقل ، وهكذا ترى أن وجهة النظر المضادة لنا تشير دائماً لوجود شئ ما وراء الأشياء المنظورة ويسمونها العقل .

اغريغوريوس: أنا شخصياً متفق معك أن الأشياء التى ترى شئ مختلف عن الأشياء التى لا ترى ، ولهذا فإنى لا أجد شيئاً ما علينا أن نبحثه فى وجهة النظر هذه ، ولكننى

حتى الآن لا يبدو الأمر واضحاً أمامى ما عسى أن تكون الأشياء التى لا تُرى هذه؟ فأنا موقن من شئ واحد بخصوصها وهو أنَها غير مادية ، ولا أعرف بعد ماذا يمكن أن نصفها!

وما أريد أن أعرفه ليس ما لا يوجد بل ما هو موجود بالفعل .

ماكرينا: قالت: إننا نعرف الكثير عن الأشياء عندما نقول أن هناك شيئاً ما غير وجود فنستطيع إثبات الخلاصة التى تم إستنتاجها .

فمثلاً إذا قلنا أن شخصاً ما ليس سيئاً فإننا نثبت أنه حسن ، أو إذا قلنا أن شخصاً ما غير آدمى فإننا نستنتج أنه شخص ليست له صفات إنسانية .

يمكننا أن نسوق أمثلة كثيرة نستطيع بها عن طريق نفى الصفات السيئة عن شئ ما أن نكتسب معرفة وفهم لهذا الشئ أو أن نكون رأياً سيئاً عن شحص ما عن طريق معرفة سيئاته أو عن طريق معرفة إفتقاره إلى الصفات الصالحة ، وطبقاً لوجهة النظر هذه فإنك لن تنخدع بسهولة من أى فكرة أخرى .

فما نريد أن نتوصل إليه هنا هو التعريف الرئيسى للعقل ، ولمن يريد أن يتقبل رأينا فإننا نقول أن العقل موجود حقيقة وله أنشطة كثيرة نراها ولكننا لا نلمسه بأية حاسة من حواسنا لأنه ليس له لون أو ترتيب معين أو مقاومة أو وزن أو كتلة إذ أن العقل ليس له أبعاد معينة أو وضع معين فى الفراغ وليس هو شئ متعلق بالمادة ولكن فى الحقيقة إن العقل هو الشئ الذى يتواجد جنباً إلى جنب مع كل هذه الأشياء .

اغريغوريوس: وبعدما عددت هذه الأشياء قاطعتها قائلاً: إذا جنبنا كل هذه الأشياء فإننى لا أُعرف كيف أن الموضوع الذى نبحثه سوف لا يمحى ، لأننى أرى أننا لم ندرك بعد ما هو الدليل القوى الذى يمكننا أن نطبقه لكى نفهم الموضوع بعيداً عن استخدام مثل هذه الأمثلة التى سقتيها .

لأنه فى كل موضع من بحثنا عن الحقيقة نحاول التوصل إلى غايتنا بفكر متسائل تماماً مثل أشخاص مكفوفين وهناك من يقودونهم من خلال الجدران ليجدوا الباب ، فإننا نستقبل بحواسنا اللون أو الترتيب أو أى شئ من الأشياء التى ذكرتها الآن ولكن

السؤال الآن أن العقل ليس هو شئ من هذه الأشياء المذكورة ونحن لصغر نفوسنا نقرر أنه لا يوجد أى شئ أبعد من هذه الأشياء المحسوسة .

ماكرينا: فقالت بضجر: إنه لشئ يدعو للسخرية حقاً ، ما هو الغرض من هذه الإخفاء على الحقيقة؟ إن استبعدنا كل شئ لا تشعر به الحواس من الوجود فإن المرء يستحيل عليه أن يستوعب القوة العظيمة التى تحكم كل شئ وتدبر الوجود ، وإذا تكلمنا عن الصفات المعنوية التى لا ترى الطبيعة الروحية فإن أصحاب الرأى المادى المذكور هنا سوف يقولون أن هذه الصفات ليس لها وجود على الإطلاق ، بل أكثر من هذا ـ بخصوص النظرية التى تقول أن لا شئ يخلق من العدم ـ كيف يستطيع العقل البشرى أن ينجو من الفناء مع بقية الصفات الجسدية؟

اغريغوريوس: قلت: بهذا النمط من التفكير فإننا نستبدل سخافة بأخرى ، إذ أن الرأى الذى يقودنا أن نؤمن أن العقل البشرى والطبيعة الروحية المقدسة هما شئ واحد طالما أنهما بعيدان عن الإدراك الحسى هو رأى يدعو للسخرية .

ماكرينا: قاطعتنى معلمتى بقولها: لا تقل هذا ، لأن هذا رأياً مرذولاً لأنك تعلمت من الكتاب المقدس قوله أن شيئاً يشابه شئ آخر ، فالصورة تكون مشابهة تماماً للنموذج الأصلى ، فهى تكون معنوية إذا كان الأصل معنوياً وهكذا تكون غير مادية وليس لها وزن ولا أبعاد تحدها ، ولكن فيما تعلق بالطبيعة الخاصة بالصور فهناك شئ ما يختلف عن الأصل وإلا فلن تكون صورة إن كانت مطابقة للشئ الأصلى من جميع النواحى ، فلو عرضنا قطعة من الزجاج لأشعة الشمس فإن دائرة الشمس بأكملها تظهر فها ولكنها لا تظهر فيها بالحجم الأصلى لدائرة الشمس إذ رغم صغر حجم قطعة الزجاج إلا أنها تعكس قرص الشمس كله ، وهكذا نحن ايضاً من خلال طبيعنا الضعيفة يمكن أن تلمع فينا بوضوح الصفات الخاصة بالله القدير .

إذاً هذه النظرية لا تمنعنا من إدراك ماهية العقل لأن الموضوع الذى تناولناه بالبحث الآن لا يجعلنا نساوى بين الشئ المحدود الذى نهايته الموت (العقل) والطبيعة التى لا ترى العديمة الفساد التى لله وحده ، بل أنه يجعلنا نؤمن أن العقل شئ معنوى لأنه صورة الشئ معنوى ، ولكن هناك إستحالة أن تكون الصورة والأصل شيئاً واحداً ، إذاً من

خلال حكمة الله التى تتجلى فى كل شئ فإننا لا نشك لحظة فى وجود الطبيعة الإلهة التى تحكم كل شئ .

وإذا طلب أحد الناس أن يدرك ماهية الطبيعة الإلهية فإنها تظل بعيدة جداً عن ما نلاحظه أو نعرفه عن أى شئ مخلوق .

ولكن الروح القدس موجود داخل المخلوقات بالرغم من إختلافه عن هذه المخلوقات فى طبيعة كل منها ، ولهذا فإنه ليس من المستحيل ابداً أن نؤمن بوجود النفس وتعرف كنهها برغم إختلافها بعض الشئ عن طبيعة الجسد ولكن هذا لا ينفى وجودها ، برغم الحقيقة التى تقول أن الأشياء التى يدرسها العالم تحت بند العناصر ليس من الضرورى أن تكون متحدة مع بعضها هذا ما يقوله المنطق الطبيعى .

لأنه كما ذكرنا سابقاً بالنسبة للأجسام الحية التى تمتزج فيها العناصر المختلفة لتكون مادة الجسم فإنه طبقاً للمنطق لا توجد علاقة بين طبيعة النفس البسيطة الغير مرتبة وبين كثافة الجسد نفسه ، ومع ذلك فليس هناك شك فى أن الطاقة الحيوية للنفس موجود فى العناصر المكون للجسم وتتخلل هذه العناصر بمنطق بعيد عن إدراك الإنسان .

لهذا فعندما تتحلل عناصر الجسم وتعود إلى أصلها فإن الطاقة الحيوية التى كانت تربطها مع بعضها لا تتلاشى .

وهذا ايضاً ما يحدث مع وجود العناصر المركبة التى تكون الجسم عندما يكون حياً فإن النفس تنفذ بطريقة متساوية ومتشابهة الى جميع الأجزاء مكونة الجسم الحى ، فلن يقول المرء أن النفس جامدة أو ثابتة بما أنها تحد مع التراب أو الطين أو مع الأشياء أو الغير باردة برغم أنها تدخل فى تكوين كل هذه الأشياء وتمنحها القوة الحيوية .

ولهذا فعندما تتحلل العناصر المركبة للجسم بالموت وتعود إلى أصلها الذى أخذت منه بالموت فليس بعيداً عن المنطق أن نفكر أن الطبيعة البسيطة الغير مركبة (أى النفس) موجودة فى كل الأجزاء حتى بعد تحللها بما أنها كانت متحدة بهذه العناصر المركبة ، فإنها بشئ من المنطق الذى يفوق العقل ـ يمكنها أن تظل متحدة بهذه العناصر التى كانت مندمجة معها ـ وتحلل هذه العناصر المركبة ليس من الضرورى أن يجعل النفس تتحلل ايضاً .

اغريغوريوس: قلت: لا أحد ينكر الحقيقة القائلة أن العناصر تتحد مع بعضها ثم تنفصل عن بعضها وأن هناك تكوين للجسم ثم تحلل ايضاً .

ولأن هناك إختلافات كبيرة بين هذه العناصر وبعضها حيث أنها غير متجانسة أصلاً لإختلافها فى المكان وفى الصفات الخاصة بها من حيث الكتلة والكثافة... الخ ، فعملية إتحادها مع بعضها فى تجانس واضح يستلزم وجود شئ له طبيعة معنوية وغير محددة الأبعاد ـ وهو ما نطلق عليه النفس ـ هذه يجب أن تكون متحدة مع العناصر لتجعلها فى تركيب متجانس ، ولكن فى حالة إنفصال هذه العناصر عن بعضها وتحول كل عنصر إلى أصله ـ أى تحلل هذه العناصر ـ فماذا يكون مصير النفس حيث أن محتوياتها قد تفرقت فى كل الأنحاء ! تماماً مثل البحار الذى تحطمت سفينته فى عرض البحر وهو ليس قادراً أن يسيطر على جميع أجزاء السفينة التى تبعثرت فى كل إتجاه على سطح البحر ، بل يمسك بالجزء الذى تبقى له ويترك بقية أجزاء السفينة للأمواج تفعل بها ما تشاء ، بنفس الطريقة فإن النفس لم يتم إعدادها لتكون موزعة فى إتجاهات مختلفة طبقاً لطبيعتها ولهذا فعند إنفصال العناصر فإنها إذا رفضت أن تنفصل عن الجسم فسوف تتحد بأحد العناصر وتكون منفصلة عن بقية العناصر ، ومن ثم لن تكون النظرية السليمة أن النفس موجودة فى أحد العناصر ـ بل الأصح أن نقول ـ أن النفس غير موجودة فى أغلب العناصر .

ماكرينا: قالت: ولكن الشئ المعنوى الغير محدد بأبعاد معينة ـ هو شئ غير قابل للتمدد والإنكماش ، وطبقاً لطبيعته الخاصة ـ فهو موجود بصورة غير مرئية متساوية خلال إتحاد العناصر كما فى إنحلالها من الجسم ، أى أنها لا تحبس خلال العناصر ولا تتفرق وتنتشر مع إنحلال هذه العناصر وعودتها لأصل مادتها برغم عدم التجانس الواضح بين هذه العناصر .

وفى الطبيعة هناك إختلاف كبير بين الشئ الخفيف الذى يتجه لأعلى وبين الشئ الثقيل الأرضى ، وإختلاف بين الشئ الحار والشئ البارد ، وبين الشئ الترابى والغير ترابى... الخ .

ومن هنا فليس ثمة مشكلة فى أن يوجد الشئ المعنوى بطبيعته فى كل هذه الأشياء

المتناقضة طالما أنه لا يتأثر بتضاد العناصر مع بعضها ، لأنه بينما نحن نرى هذه العناصر متباعدة عن بعضها نظراً لإختلاف موقعها وكتلتها وبقية خواصها إلا أننا نرى أن الشئ الغير محدود لا يتأثر بإتحاده بالأشياء المتنافرة عن بعضها .

وحتى الآن ، فإنه يمكننا أن نتأمل فى السماء ونجول بأفكارنا لنصل إلى حدود العالم وهذا حب إستطلاع منا رغم أن قدرة النفس فى التأمل لا تحدها المسافات ولا الأبعاد .

إذاً لا شئ يمنع أن تكون النفس موجودة بالتساوى فى العناصر المكونة للجسم سواء عندما تكون هذه العناصر ملتحمة (أى الجسم الحى) أو عندما تنحل هذه العناصر (أى بعد الموت) .

تماماً مثلما يحدث عندما تنصهر الفضة مع الذهب ـ فهناك براعة فنية نلاحظها فى عملية إنصهارهما معاً ـ حتى لوقمنا بعد ذلك بصهر أحدهما (أى الفضة أو الذهب) بمفرده نلاحظ وجود هذه المهارة الفنية فى كل منهما على حدة برغم إنفصالهما عن بعضهما ولكن الذوق الفنى لم ينفصل عن العناصر حتى بعد إنفصال العناصر عن بعضها البعض .

فكيف إذن نستطيع تقسيم شئ مكون من وحدة واحدة إلى أجزاء عديدة؟

وطبقاً لنفس النظرية ـ فإن الطبيعة المعنوية للنفس موجودة فى العناصر المتحدة والملتحمة ولا تنفصل عن العناصر فى حالة إنحلالها ، ولكنها تبقى فى هذه العناصر ولا يحدث لها تقسيم عند إنفصال العناصر عن بعضها ، وايضاً لا تنقسم النفس إلى أجزاء بعدد هذه العناصر المتحدة بها ، بل يحدث هذا مع المادة والأشياء المحدودة فقط ولكن الأشياء الغير محدودة لا يحدث لها تقسيم مثل هذا .

ومن هنا نجد أن النفس موجودة فى هذه العناصر التى إتحدت بها من قبل إذ لا داعى لإنفصالها عن هذه العناصر .

إذاً ماذا يقلقك فى تحول الشئ المرئى إلى آخر غير مرئى ، ولماذا يقاوم عقلك الموت إلى هذا الحد؟

اغريغوريوس: ثم عدت بذاكرتى إلى تعريف النفس الذى ناقشته معها من قبل وقلت

لا إن وجهة نظرها هذه لا تفسر لى بما فيه الكفاية قدرات النفس المختلفة ، فنظريتها تقول أن النفس قوة معنوية (غير مادية) وأنها تضع فى الجسم العضوى قوة الحياة وتنشط الحواس لتعمل ، ولأن النفس طبقاً للمعرفة ـ وهذه النظرية ـ ليست فقط معنية بالنشاط الذهنى ولا بالتحكم فى الحواس فى عملها فقط ولكنها ايضاً مرتبطة بالرغبات المختلفة لدى الإنسان وبالشق الروحى للإنسان ايضاً ، ونتيجة وجود كل هذه النواحى داخلنا فإننا نرى أن نشاط النفس ينتشر ويعمل فى نواح عديدة ، ويمكننا أن نلاحظ الأنشطة المختلفة التى تقودنا إليها رغباتنا ، وايضاً الأعمال الكثيرة التى تقودنا إليها الحياة الروحية داخلنا .

ولكن الجسم غير متصل بهاتين (الرغبات والروح) حيث أنهما فى نطاق الذهن وليستا فى نطاق الجسد ، ونحن نقول أن النفس هى شئ ذهنى من خلال تعريفنا للنفس، إذاً نجد أمامنا أحد إحتمالين:

١) إما أن تكون الروح والرغبات (الإرادة) نفوس أخرى داخلنا وذلك يكون داخل الإنسان أنفس متعددة .

٢) أو أن تكون النفس داخلنا غير قادرة على التفكير ولهذا وجدت هذه القدرات الاخرى لتساعدها فى عملها وهى لذلك لها طبيعة النفس تماماً .

ماكرينا: قاطعتنى قائلة: لقد تطرقت الآن إلى نقطة هامة طرقها أناس كثيرون قبلك ألا وهى... ماذا تكون بالضبط الرغبة والروح؟

هل تكونان جزءً آخر من قوام النفس وموجودتان داخلها منذ البداية؟ أم تكونان شيئاً آخر يضاف إلينا مؤخراً؟

فكلنا متفقون أنهما (الرغبة والروح) موجودتان فى النفس ولكن إعتقادنا بالنسبة لهذه الاشياء ليس دقيقاً أو واضحاً لدرجة تؤهلنا لأن نكوّن وجهة نظر بخصوصهما ، وكثير من الناس لديهم وجهات نظر مختلفة بخصوصهما ، فالفلسفة الدنيوية تزن كل شئ بالمادة حتى هذه الأشياء ، وإذا أخذنا بكلامهم سنجد أنفسنا فى جدال حول النفس لا ينفع شيئاً حيث أنهم يقولون ما يتصورون بمنتهى الحرية ويذهبون بعيداً فى تفسير كل شئ ، ولكننا لا نملك هذه الحرية أن نقول كل ما نرغب فيه حيث أن مرجعنا

دائماً هو الكتاب المقدس كعقيدة وقانون ، لذلك فعلينا دائماً أن نتقبل ما يدخل فى نطاق المكتوب بالوحى المقدس ، ولذا فنحن نتجاهل تماماً ولا نعترف بالفلسفة الأفلاطونية بكل ما تحمله من رموز خاصة بالنفس ، ولا يهمنا ما قاله الفيلسوف الذى جاء بعد أفلاطون (أرسطو) الذى توصل بعد دراسة العديد من الظواهر ـ من وجهة نظر مادية بحتة ـ إلى أن النفس تموت ايضاً متجاهلاً ورافضاً ما كتبه وقاله جميع من سبقوه ومن أتوا بعده نثراً وشعراً .

ولكننا نحن نرتكز فى وجهة نظرنا على ما تسلمناه من الوحى المقدس الذى أكد أنه لا يوجد أى جزء من النفس إلا يعكس الطبيعة الروحية ، لأن الوحى القائل أن النفس هى «صورة الله» (تك١ :٢٧) أكد لنا أن أى شئ مخالف لله فهو خارج نطاق النفس ، وطبقاً لهذا فإن أى شئ يكون خارجاً عن الطبيعة الإلهية لا يمكننا أن نفكر فيه كجزء من طبيعة النفس ، فنحن لا نتقبل أن نصل للحقيقة عن طريق المنطق العقلى والجدال الكلامى فقط حيث أن هذا النوع من الإقناع يصلح لوجهة نظر ضعيفة وتحتاج ما يدعمها ويبرهنها ، ولكن المناقشات الكلامية هذه بقدر ما تنفع بقدر ما تضر ايضاً ويمكنها أن تبعدنا تماماً عن الحقيقة خاصة مع أناس يجيدون هذه المناقشات الكلامية البحتة ، فتصبح الحقائق مجالا للشك وتتزلزل الأرض الصلبة التى تقف عليها .

على أية حال إذا تقدم أحد الأشخاص بوجهة نظر إرتجالية وتفتقر لهذه البراهين فإننا نقول أنها ربما تكون معقولة ونحاول أن نقيسها بما جاء فى الوحى المقدس ، فماذا يعنى هذا؟

يعنى هذا أن هذا الشخص الذى ينادى بنظرية معينة ـ أى هذا الشخص المنطقى ـ نحن نقيمه من الناحية العقلية والذهنية والثقافية بأن نقيسه بمستوى أعلى منه (اى بالكتاب المقدس) لكى نستطيع أن نحكم على صدق نظريته أو عدم صدقها .

إذاً تعريف النفس بأنها صورة الله سوف لا ينطبق على طبيعتنا إذا نحن تحكم فينا الغضب والشهوة وقلنا أنها أشياء أساسية فى طبيعتنا .

وعلى أية حال فإنك لن تستطيع أن تخلص إلى تعريف أى شئ بالحديث العام والخاص معاً ، فإذا كانت الشهوات والأشياء الروحية هى معروفة بالمنطق وبغير المنطق

فانك لن تستطيع أن تميز بالعقل بين العام والخاص ويصبح تعريف طبيعتنا ليس له أية قيمة .

فكيف يستطيع جزء من طبيعة الشئ أن ينقض أو يهدم التعريف الخاص به؟ حيث أن تعريف ماهية الشئ يرتكز على ما هو مؤكد عن هذا الشئ ، وكل ماهو خارج عن ماهية الشئ وطبيعته فإنه يحذف من التعريف بالشئ ، وكلنا متفقون على أن الغضب والشهوة تتميزان بهما الطبيعة الغير عاقلة ، وما يتميز به الشئ فهو خاص به ، ولهذا فمن الضرورى أن نعقل أن هذه الصفات لا توجد فى الأشخاص الذين تنطبق عليهم تعريف الطبيعة الإنسانية ، فعندما يلاحظ المرء موهبة الإدراك ثم التغذية والنمو فى جسم الإنسان ألا يدفعه هذا إلى أن يتقبل تعريف النفس الذى قلناه آنفاً حيث أن الادراك مرتبط بالنفس أما التغذية والنمو مثلاً فلا يرتبطان بالنفس فى أى شئ .

كما أن من يلاحظ الإنفعالات المختلفة داخلنا مثل الغضب والشهوة سوف لا يعارض تعريفنا للنفس على أساس أنه يعرف طبيعتنا بطريقة غير متكافئة .

اغريغوريوس: فقلت لمعلمتي: وماذا يمكن أن تعرفه بمناقشة هذه المواضيع؟ فأنا لا أرى بعد داعياً لكي نرفض ونعارض ما يوجد داخلنا بدعوى أنه غريب عن طبيعتنا .

ماكرينا: أضافت: ألم تتحقق بعد من أن العقل يحارب هذه الإنفعالات وأن النفس تجاهد لأجل فصل هذه الإنفعالات عنها بقدر الإمكان؟ هناك أفراد معينون استطاعوا بمنتهى النجاح إجتياز هذه المعركة ، فمثلاً قيل عن موسى أنه كان أسمى من الغضب والشهوة ، فالتاريخ يخبرنا بأنه كان أكثر الناس حلماً (عد١٢ :٣) وقد ظهر حلمه هذا فى إعتداله وفى تحوله عن شهوة الإنتقام وفى عدم إشتهائه لأى شئ مما يشتهيه معظم الناس ، إذ لن يكون الأمر هكذا فى حالة إعتقادنا بأن هذه الرغبات أو الأحاسيس هى أشياء طبيعية بالنسبة له ومنطقياً أن تمتزج بطبيعته ، لأنه غير ممكن أن الأشياء المخالفة للطبيعة تظل ملتصقة بها .

وموسى كان مخلصاً لطبيعته ولم يقع فى الشهوة والغضب حيث أنهما شيئان دخيلان على طبيعتنا ولا يندرجان ضمن طبيعتنا الأصلية ، ولأن هذين الشيئين بعيدان عن طبيعتنا لذلك كانت محاربة ومقاومة هذين الشيئين ضروريتين لنقاء طبيعتنا .

إذاً من الواضح الآن أن هذه الأشياء تندرج تحت قائمة ما هو خارجى عنها... أى أنه يصيب طبيعتنا ولكنه ليس منها فى شئ .

فالإنسان العادى يعتبر الغضب هو غليان الدم حول القلب ، وآخرون ينظرون إلى الغضب على أنه الرغبة فى الإنتقام ، وكما نفهمه فهو الرغبة فى إيذاء شخص ما تسبب فى مضايقتنا .

وليس شئ من هذا كله يتناسب مع تعريف النفس .

وإذا عرفنا كلمة «الشهوة» فإننا نقول أنها إشتياق إلى تحقيق رغبة معينة أو هى التمتع بمتعة معينة... أو هى الحنين لشئ ما ليس فى مقدورنا... أو هى التعود على متعة معينة ليست فى وسعنا الآن ، فكل هذه تعاريف مختلفة للشهوة ولكن ليس فيها تعريف واحد مناسب لتعريف طبيعتنا لكى نقول أنها ضمن طبيعتنا .

وكل المعانى والأحاسيس الأخرى التى تتعلق بالنفس والمتناقضة مع بعضها مثل الجبن والشجاعة ، الألم والمتعة ، الخوف والاحتقار وأمثلتها كثيرة تبدو وكأنها مرتبطة بالشهوة والروح ولكن كل منها له طبيعته الخاصة وتعريفه الخاص به ، فالوقاحة والإزدراء تدلان على تأكيد معين من الدافع الروحى ، بينما التعود على الخوف والجبن يدل على نقص وتراجع لنفس الدافع الروحى ، والألم ينشأ من نفس هذا الدافع إذا زاد أو نقص .

فمع فتور الروح نشعر بالألم نتيجة عدم قدرتنا على الإنتقام من الذين أساؤا إلينا ، وايضاً فإن عدم حصولنا على ما نشتهى وحرماننا مما هو ممتع بالنسبة لنا يخلق نزعة الحزن هذه فى وجداننا .

وماذا عن نقيض الألم ، أقصد الإحساس بالمتعة الذى يمتد بين الغضب والشهوة ، إذ أن المتعة هى الدافع الذى يؤدى إلى الغضب والشهوة .

فكل من هذين الشيئين متصل بالنفس ولكن ليست هى النفس ، فهذه الأشياء مثل الزوائد التى تنشأ من الجانب الفكرى وتعتبر جزءً من النفس لأنها تتصل بالنفس ولكنها لا تمثل طبيعة النفس أو ماهية النفس .

اغريغوريوس: قلت للبتول: نحن نرى أن الذين يتصفون بالروحانية لم يحيدوا قيد

أنملة عن هذه النظرية فمثلاً دانيال قد سُجن (دا ١٠ :١٢) بسبب غيرته الشديدة وفتحاس توسل إلى الله (عدد٢٥ :١١) من أجل غضبه ، وقد تعلمنا أن «المخافة هى بداية الحكمة» (أم٩ :١٠) وقد تعلمنا من بولس الرسول أن الحزن الروحى يقودنا للخلاص (٢كو٧ :١٠) وقد شرع الإنجيل المقدس «الإستهانة بالمخاطر» وعندما يعظنا أن لا تخف من الأخطار (لو٢١ :٩) فليس هذا إلا تفسيراً للشجاعة التى تندرج تحت بند الحكمة والمعرفة ففى هذه الأيات ينقل لنا الوحى الإلهى أنه ليس من الضرورى أن نعتبر هذه الأحاسيس هى إنفعالات أساسية حيث أنها هكذا لن تندرج تحت متطلبات بلوغ القداسة .

ماكرينا: أجابت معلمتى: يبدو أننى المسئولة عن بعض اللبس حيث أنى لم أضع حدوداً فاصلة بين المواضيع وبعضها ، حيث أن هذه الحدود من شأنها أن تضع منهجاً مقبولاً لنظريتنا ، والآن ، بقدر المستطاع ، سوف نحاول أن نضع خريطة تمنع حدوث مثل ذلك اللبس فى مناقشتنا .

فنحن متفقون أن قدرة النفس على التأمل وعلى التمييز وعلى التبصير هى قدرات تتفق مع طبيعتها ، وبسبب هذه القدرات فإنها تحتفظ بصورة النعمة المقدسة ، ولأن منطق العقل يرفض أن يصدق أن الروح القدس ايضاً ـ أياً كانت طبيعته ـ له وجود فى هذه النواحى ويراقب كل شئ ويميز بين ما هو حسن وما هو ردئ .

إلا أن ما يقع فى حدود النفس يحيد نحو أحد النقيضين تبعاً لما تريده طبيعتنا الخاصة فتجعلنا نتخذ خطوة نحو الفضيلة أو إلى الرذيلة ، فمثلاً الغضب أو الخوف أو أى من الإنفعالات المماثلة فى النفس بدونها لن تستطيع الطبيعة الإنسانية أن تعكس ما تحس به ، فهذه الإنفعالات نحن نعتبرها خارجية لأننا لن نتسلمها ضمن النموذج الأصلى الجميل لطبيعتنا ، لذا دعنا نظر لهذه الإنفعالات من وجهة النظر هذه لكى ما نتجنب سوء إستخدام هذه الانفعالات الذى يتبناه أتباع الشيطان .

فقد ذكر الوحى الإلهى قصة خلق الإنسان بترتيب معين ، فيخبرنا التاريخ كيف ارتبطت النفخة الإلهية بخلق الإنسان إذ أن بعدما خلق الله كل شئ على الأرض لم يخلق الإنسان بعدها مباشرة ، بل سبق الإنسان إلى الوجود المخلوقات الغير عاقلة والنباتات

وفى إعتقادى أن الوحى الإلهى يوضح لنا كيف أن القوة المانحة للحياة قد إمتزجت بالتدريج أولاً مع الطبيعة الجسدية فبدأت أولاً فى الاشياء التى تفتقد الحس ثم تخطتها بعد ذلك إلى الأشياء المحسوسة ثم إلى الأشياء المعنوية والذهنية والمنطقية ، إذاً مما تقدم نرى أن هناك أشياء جسدية وأشياء معنوية بحتة ، الأشياء الحسية ليس لها نفس أما المعنوية فلها نفس ، أقصد أن النفس هى التى تمنح الحياة ، فبعض الأشياء الحية قد وهبت الاحساس والبعض الآخر لم يوهب هذا الاحساس ، ومن بين الأشياء التى وهبت الاحساس هناك أشياء عاقلة وأخرى غير عاقلة ، إذ أن الحياة الحسية لا يمكن أن توجد بعيداً عن المادة ولا الحياة الروحية يمكن أن توجد فى الجسم ، إن لم تكن متحدة بالحياة الحسية (الحواس والمادة) .

وقد قيل أن الإنسان قد خلق فى النهاية لهذا السبب ألا وهو أن يتأمل فى كل مظاهر الحياة التى يمكن تصورها فى النباتات والحيوانات ففى النبات يمكنا أن نتأمل فى طرق التغذية والنمو ، فنرى كيف أن الغذاء والماء تمتصه الجذور وتنقله إلى أجزاء النباتات الأخرى ليصل فى النهاية للثمار والأوراق .

فهذه العملية هى عملية حسية تحدث فى النبات (أى مادية) ولكن لها مدلولها إذا تأملنا فيها جيداً ، فكما أن الطبيعة حبت النبات بخاصية جذب المواد التى تساعده على النمو والإتحاد بها وهو ما نسميه «الشهية» وهذا ما يساعد النبات على النمو والتكاثر .

وهنا نجد إتحاد الطبيعة المادية (الحسية) بالطبيعة المعنوية ، وهذه المخلوقات الغير عاقلة لديها ايضاً الغضب والخوف وجميع هذه الإنفعالات التى توجد داخلنا ما عدا النطق والقدرة على التفكير التى نتميز بها نحن البشر فقط لتكون هذه هى صورة الطبيعة الإلهية فينا كما قلنا انفاً .

ولأن النفس كما ذكرنا سابقاً فى حوارنا لا يكن أن توجد فى الحياة الجسدية إلا من خلال الحواس ، ولأن الإدراك يندرج تحت طائفة الأشياء الغير عاقلة فإن وجود النفس تأكد من خلال الخاصية التى تتميز بها النفس ومن خلال علاقتها بالأشياء التى ترتبط بها .

وهذه الأشياء توجد داخلنا وتسمى «إنفعالات» وهى لم تخلق مع الإنسان لكى

يستخدمها فيما يخص الشيطان أى إستخدامها الشرير ، لأنه لو كانت هذه الإنفعالات فى استخدامها الشرير تتضمن طبيعتنا الأصلية لكان الخالق هو سبب الشر ، ولكن قدرات النفس هذه وجدت لكى نستطيع الاختيار بين الجيد والردئ أى بين الفضيلة والرذيلة وكمثال لذلك: كيف أن الحديد يخضع لرغبة الصانع الحداد فإما أن يصنع منه سيفاً أو فأساً (حرباً أو نماء) .

إذاً فالعقل ـ الذى هو العضو الذى يميز طبيعتنا ـ لو كان متحكماً فى المؤثرات الخارجية التى تؤثر علينا فكما أخبرنا الوحى الإلهى بوضوح خلال الرمز للإنسان الذى يسود على الخلوقات الغير عاقلة فسوف لا تستجيب انفعالاتنا لخدمة الشر وسوف يولد الخوف والطاعة... والغضب يولد الشجاعة والجبن يولد الحذر .

وسوف تتحول الرغبة والشهوة إلى قداسة ومتع طاهرة ، ولكننا لو تركنا العقل والإنفعالات تسوقنا مثل قائد العربة الذى يترك قيادة العربة لرغبة الآخرين كل حسب هواه يدفعها فى إتجاه مختلف فحينئذ سوف تتحول طاقاتنا إلى الإنفعالات التى نراها بين الحيوانات الغير عاقلة ، إذ أن العقل فى هذه الحيوانات الغير عاقلة لا يسيطر على حركتها بل نجدها تدمر كل كائن آخر أمامها فى ثورتها وهياجها وتتحكم الشهوات الجسدية فى زمام الأمور ويغيب العقل تحت وطأة هذه الشهوات ، إذ أن رغباتها ومتعتها لا تتعلق بشئ سام ولا تخضع لتوجيه أى منطق نحو أى شئ مفيد .

هكذا نحن ايضاً إن لم يتحكم عقلنا فى قدراتنا وغباتنا ويوجهها للوجهة التى نريدها، أى أنه إن حكمت إنفعالاتنا «عقلنا» فسوف يتحول الإنسان من الحالة الروحية العقلية (صورة الله) إلى الحالة الغير عاقلة الغبية وسوف يقهر الإنسان أمام هذه المؤثرات .

اغريغوريوس: فأجبت وأنا متأثر جداً بما قالته: حديثك هذا كان مباشراً وتلقائياً وجامعاً لدرجة تجعل أى إنسان ذكى يقتنع بأنك على صواب ولم تحيدى عن الحقيقة للحظة واحدة .

ولكن هذه البراهين التى سقناها تقنع هؤلاء الأشخاص العقليين الذين يعتمدون على الأدلة العملية فقط ولكننا نحن نحتاج إلى براهين مقتبسة من الكتاب المقدس بجانب البراهين العملية لكى يكون إقتناعنا كاملاً ومبنياً على أساس سليم ، فهل لى أن أسأل

الآن... إن كانت التعاليم التى تناولناها من الوحى المقدس تتفق مع ما تقولين؟

ماكرينا: أجابت: ومن يستطيع أن ينكر أن أى حقيقة لكى تكون حقيقة ينبغى أن يكون لها ما يؤيدها من كلام الوحى الإلهى؟

فإن كان من الضرورى أن ندلل على كلامنا هذا ببرهان من الكتاب المقدس فأمامنا مثل «الزوان والحنطة» (مت١٣: ٢٤) فنحن نعرف القصة جيداً وفيها أن رب البيت زرع زرعا جيداً ، وبينما كان الحراس نائمون جاء العدو وزرع زرعاً ضاراً يضعف من كمية المحصول بأن وضع زواناً بين الحنطة .

فنمت النباتات جميعاً معاً لأنه لم يكن من الممكن والحال هكذا أن تنمو الحنطة فقط بل نما الاثنان معاً لأن جذورهما كانت متصلة ببعضهما ، فمنع صاحب الحقل الخدام أن ينزعوا الزوان خوفاً من أن ينزعوا الحنطة مع الزوان .

ونعتقد هنا أن الوحى الإلهى يشير إلى أنه بجانب الزرع الجيد هناك الإنفعالات المختلفة الخاصة بالنفس البشرية ، فكل منها إن استعملناها فى الفضيلة فسوف تنتج لنا قداسة مطلقة ، ولكن إن وجدت الخطية بين هذه الإنفعالات (التى هى أصلاً بدون خطية) كما كان الزوان بين الحنطة وهى فى الأصل كانت زرعاً جيداً خالصاً ، حينئذ يظهر عنصر الشهوة (الذى هو شرير بطبعه) وينمو ويزيد لأنه أصلاً ينتمى للطبيعة الغير عاقلة ، إذاً يمكننا القول بأن شهواتنا الغير صالحة توجه انفعالاتنا نحو اللاعقلانية ، وكمثال لذلك بذرة الغضب إن لم توجه نحو الشجاعة فإنها تقحم نفسها فى معركة أى أنها تتجه للاعقلانية .

طاقة الحب داخلنا إن انبعثت عن الأشياء المعنوية فإنها تسعى جاهدة لإمتاع حواسنا، وبقية الإنفعالات الأخرى بنفس الطريقة سوف ينتج عنها أثاراً رديئة بدلاً من الأثار الصالحة المرجوة منها .

لهذا السبب ـ كما جاء فى المثل ـ يترك الزارع الحكيم الزرع الضار ينمو داخلنا بجانب الزرع الجيد لكى ينمو الجيد ويستمر نموه ، وهكذا يحدث داخلنا إذ تتحد الشهوة مع إنفعالاتنا الأخرى ، فإن طبقنا نفس المبدأ على الطبيعة البشرية نجده صحيحاً ، إذ أننا لو اقتلعنا الحب لكى لا يتحول إلى الشر كيف إذاً يتسنى لنا أن نحب الله؟ وإن

أُنتزع الغضب منا فما هو السلاح الذى نحارب به مقاومنا؟

فقد سمح الزارع ببقاء الزرع الضار داخلنا ليس لكى يسود على المعانى الصالحة فى حياتنا ولكن لكى تستطيع الأرض (وهذا يشير إلى قلب الإنسان) أن تحول النباتات الضارة إلى أعشاب جافة وفى حين آخر أن تثمر النباتات الجيدة بالقوة الموجودة أصلاً فى الأرض الصالحة فى بدايتها ، فإن لم يحدث هذا فإنه يتحول إلى طريقة أخرى وهى حرق النبات لكى يفصل الجيد عن الردئ ، فلو أن أى شخص استخدم هذه الإنفعالات الاستخدام الصالح ـ متحكماً فيها وليست هى التى تحكم فيه ـ فإن هذا الشخص يكون مثل ملك يعتمد على حشد كبير من رعاياه ويصل لكل أهدافه بكل سهولة ، ولكن لو كان الشخص و الذى تتحكم فيه الإنفعالات فإنه يكون مثل السيد الذى يقوم ضده العبيد فيهزمونه ويتحول هو الآخر إلى عبد ويدخل هو ضمن ملكة العبيد ، ولكنه لو تحول إلى إمتلاك زمام هذه المجموعة التى قامت ضده بحكم طبيعتها فسوف يعود مرة أخرى لسابق قوته ويسترد ما انتزعوه منه .

إذاً نجد هنا أن هذه الإنفعالات فى حد ذاتها ليست مقدسة أو خاطئة ، ولكن كونها صالحة أو شريرة فهذا يعتمد على طريقة إستخدامها وترويضها من قبلنا فإن كان الجهاد للأفضل فتصبح المادة جيدة ، كمثال رغبة دانيال وغضب فينحاس الذى وجه غضبه فى الإتجاه الصحيح وهو الشعور بالألم ، ولكن إن اتجه الإنفعال للشر نُطلق عليه «شهوة ردية» .

اغريغوريوس: وعندما توقفت لبرهة بعد هذا التفسير عدت إلى نقطة سابقة فى حوارنا وهى تأكيدنا على عدم إمكانية وجود النفس فى شتات العناصر المتبقية بعد تحلل الجسد فقلت لمعلمتى: ولكن ماذا عن الكلمة الشائعة «الجحيم» التى نستخدمها فى كل يوم من حياتنا فى أحاديثنا مع الآخرين؟

ماكرينا: أضافت معلمتى: من الواضح أنك لم تركز إهتمامك على الهدف ، فعندما تحدثنا عن إنتقال النفس من الحالة المرئية إلى الحالة الغير مرئية اعتقد أننا لم نغفل الحديث عن كلمة «الجحيم» لأنه كما يبدو لى فإن هذه الكلمة التى توجد فى كتابات الأدباء فى كلامنا نكررها كثيراً ما هى إلا المكان الذى تتجه إليه النفس ، أى أنها (أى

الجحيم) ليست أكثر من التحول إلى الحالة الغير مرئية .

اغريغوريوس: فقلت: وكيف يقول بعض الناس أن هناك مكاناً تحت الأرض تتجه إليه النفس ويستضيفها كأنه فندق يقوم بإستقبال هذه الطبيعة مبتلعاً داخله النفوس التى تترك الجسد بعد فناء الحياة .

ماكرينا: أجابت معلمتى: إن وجهة نظرنا لا يضيرها إطلاقاً وجود هذا الشئ ، لأنه إن كان كلامك صحيحاً وإن كان الشئ ذو الطبيعة السمائية يدوم ولا يتحلل ويكتنف كل شئ داخل دائرته الخاصة ، وأن الأرض تقع فى الوسط وكل شئ معلق حولها وفى مجالها وأن حركة أى شئ داخل الدائرة يكون حول نقطة ثابتة فإن ذلك يؤكد القول بأن أى عنصر يوجد فوق الأرض لابد وأن يوجد ايضاً فى الإتجاه المضاد لأنه ذو طبيعة واحدة فهو يلف حول قطر الأرض كله ، فعندما تشرق الشمس فوق الأرض فإن الظل يظهر فى الأجزاء السفلية من الأرض لأن دائرة الأشعة الشمسية لا يمكنها أن تحيط وتخيم على كل القطر الأرضى فى نفس الوقت ، لأن الشمس توجد فى نقطة متوسطة نسبياً بالنسبة للكرة الأرضية فعندما ترسل أشعتها على جزء من الكرة الأرضية فإن هذا الجزء يكون منيراً وفى نفس الوقت يكون الجزء المواجه له مباشرة مظلماً ، وهكذا تكون دورة الظلام على الأرض مستمرة مع إستمرار دوران الشمس حول الأرض فيكون الجزء المباشر المواجه للشمس مضيئاً ويكون الجزء المواجه له من الأرض مظلماً ، تماماً مثل ما يحدث للعناصر التى توجد فورق الأرض .

فيجب أن لا نشك لحظة واحدة فى أن العناصر الموجودة على سطح الأرض توجد ايضاً فى الإتجاه الآخر أى تحتها لأن هذه العناصر نفسها توجد فى كل جزء من الأرض واعتقد أن لا حاجة لنا أن نتفق او لا نتفق مع من يقولون بوجود مكان تحت الأرض تتجه إليه النفوس بعد مغادرتها للجسد طالما أن الاعتراض لن يتدخل فيما اتفقنا عليه من قبل ويتعلق بوجود النفس بعد مفارقتها للجسم البشرى وعدم فنائها ، فإنهم فقط يحددون المكان الذى تتجه إليه ولكننا بعد موت الجسد ولكنهم لا ينفون بقاء النفس .

ولكنا نرى أن هذا يتفق مع طبيعة الجسد فقط وهى أن يوجد فى مكان معين يحده ولكن بالنسبة للطبيعة الروحية للنفس فلا نحتاج لمكان محدد لكى تتواجد فيه .

اغريغوريوس: قلت: ولكن ماذا لو رجع بنا معارضونا إلى قول الكتاب المقدس أنه عند نهاية العالم والقيامة من الأموات سوف تتطلع كل الخليقة لذلك الذى يحكم العالم عندما قال بولس الرسول فى رسالته إلى فيلبى «كل ركبة سوف تجثو أمامه من فى السموات ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (فى ٢ :١٠) .

ماكرينا: قالت معلمتى: سوف نقف بجانب نظريتنا ونؤيدها حتى لو سمعنا بعض الناس تقول أشياء كثيرة عن وجود النفس وحتى لو سمعنا الرأى المعارض لرأينا وكما قلنا من قبل سوف لا نتناقش معهم حول المكان .

اغريغوريوس: ولكننا حتى لو تجاهلنا الكلمة التى تشير إلى المكان فإى إجابة سوف نعطيها لمن يتساءل عن الكلام الذى جاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبى وذكرناه توا؟

ماكرينا: قالت: لا يبدو لى أن الرسول القديس قد ميز المكان عندما استخدم عبارة «فى السموات وعلى الأرض وتحت الأرض» ولكن لأنه هناك ثلاث مجموعات من الكائنات فى الحياة ، مجموعة من الكائنات أُعطيت منذ البدء حياة بعيدة عن الجسد وهى التى نسميها «ملائكة» ، ومجموعة ثانية من الكائنات ممتزجة بالجسم ونسميها «بشر» ، ومجموعة ثالثة من الكائنات نطلق من الجسد بالموت ، وفى إعتقادى أن الرسول بولس إذا تعمقنا فى حكمته نجده يتحدث عن كل حالة يمكن أن تكون عليها النفس مكوناً معزوفة جميلة عندما قال «فى السموات» ويعنى بها الملائكة والكائنات الغير مادية، وعن هؤلاء المختلطين بالجسد بقوله «على الأرض» ، وهؤلاء المنفصلين عن الجسد بقوله «تحت الأرض» .

وإن أراد أحد أن يذكر بعض الكائنات الأخرى ذات الطبيعة الخاصة بين هذه الكائنات مثل أن يقول «عفاريت (جن) أو (أرواح)» أو ما شابه ذلك فلن يختلف معه .

لأن هناك إعتقاداً سائداً مستمداً من وجهة النظر العامة ومن تقليد الرسل بوجود كائنات ذات طبيعة غير مادية وهى ضد الخير وتضر بالإنسان .

ولأن هذه الكائنات قد لفظت الجزء الخير من طبيعتها وتفتقر إلى الخير وهؤلاء هم الذين عناهم الرسول بقوله «تحت الأرض» أى أنهم ضمن الكائنات الموجودة «تحت

الأرض» ، وهو يعنى بهذا أنه مع لفظ الشيطان بعيداً عنا وبمرور الوقت ومرور الأجيال سوف لا يبقى إلا الكائنات الصالحة ومن بينها من يقبلون سيادة المسيح على حياتهم ، فلو كان هذا الإعتقاد صحيحاً سوف لا نحتاج لذكر مكان تحت الارض لأن الهواء ينتشر حول الأرض فى جميع الإتجاهات بالطريقة التى تبين أنه لا يوجد مكان على الأرض يخلو منه .

اغريغوريوس: بينما كانت معلمتى تفسر ذلك تشككت بعض الشئ وقلت: أشعر اننى لم أمسك بعد بتلابيب الموضوع الذى نبحثه ولا أتفق بعض الشئ مع ما قيل ، فأرجو منك أن نعود للنقطة الى إنحرفنا فيها عن ما إتفقنا عليه لانى اعتقد ان الذين يعارضوننا بشدة سوف لا يقتنعون بسهولة بما قلناه لكى يرتدوا عن اعتقادهم بفناء النفس وعدم وجودها بعد تحلل الجسد واعتقادهم ايضاً بعدم إمكانية وجود النفس فى اى مكان بالعالم نظراً لاختلاف طبيعتها عن طبعة بقية العناصر الأخرى .

إذ أنه حتى لو لم يتحققوا من الطبيعة الروحة الغير مادية للنفس فهذا لا يمنع من وجوها داخلهم ، ونحن قد أثبتنا هذا الأمر وتحققنا منه بطريقتين: الأولى: الحقيقة التى تقول أنه فى الحياة التى نحياها الآن توجد النفس فى جسمنا بالرغم من إختلافهما فى الطبيعة عن هذا الجسم .

والحقيقة الثانية: هى انه قد ثبت بالدليل ان الطبيعة الروحية المقدسة ـ بالرغم من اختلافها تماماً عن الطبيعة الحسية والمادية ـ إلا أنها تتخلل كل نواحى الحياة وتختلط بكل شئ إذ أنها تحتوى فى طبيعتها كل شئ فى الوجود ، ولهذه الأسباب فمن المنطقى ان نعتقد بأن النفس لا تختفى من الوجود بعدما تهجر الحياة المادية ولكنها تتحول من الحالة المرئية إلى الحالة الغير مرئية .

ولكنى قلت: بمجرد أن تتحد العناصر وتمتزج مع بعضها البعض فى الجسم تكون النفس داخله وهى الحالة المعروفة لوجود النفس ، ولكن عندما تختفى هذه الصورة ـ نتيجة لتحلل العناصر المختلفة ـ كيف يكون مسار النفس بعد ذلك ـ أى بعد انتهاء وزوال الحالة التى تعودت عليها النفس وهى الوجود داخل جسم الإنسان؟

ماكرينا: قالت بعد قليل من التردد: فلتسمح لى أن اصيغ لك البرهان (بتشبيه

الموضوع بشئ أكثر وضوحاً) لكى أوضح لك ما نفترضه فى هذا الموضوع حتى يبدو لك ما أقوله مقنعاً .

فلنتخيل ما يحدث فى فن تكوين اللوحات حيث نجد الألوان المختلفة ـ ليست فقط ـ تمتزج مع بعضها بل أنه من الممكن جداً فصل هذه الألوان التى إمتزجت ببعضها تواً ففى هذه الحالة لو مزجنا الأبيض مع الأسود أو الأحمر مع الذهبى او اى لونين معاً لكى نرى ملاءمة اللون الناتج للجزء المراد تكوينه ، يمكننا أن نفصل هذا المزيج ونمزج ألواناً خرى أكثر ملاءمة ، وهكذا يعود اللون بعد فصله من المزيج إلى أصله قبل أن نمزجه ، وهنا لن نقول أن اللون الذى إنفصل من المزيج هو جديد بالنسبة للفنان إذ أنه هو الذى مزجه مع غيره من الألوان ، فقط نقول أن اللون عاد إلى أصله قبل أن يمتزج مع غيره .

وإذا احتاج الفنان لعمل نفس المزيج من الالوان مرة اخرى فسوف يقوم بعمل المزيج بسهولة اكثر لانه اكتسب خبرة من المرات السابقة التى مزج فيها نفس الألوان مع بعضها .

ثم قالت: والآن إن كان هذا التشبيه مقنعاً بالنسبة لك فلتبحث كيف نستطيع تطبيقه على ما نفترضه ، فلتكن النفس هى فن التلوين ولتكن طبيعة العناصر هى الالوان ، ولنفرض ان مزج الالوان مع بعضها ثم إمكانية فصلها بعذ ذلك كل إلى أصله ـ ينطبق حسب نظريتنا ـ على اتحاد ثم تحلل العناصر فى الجسد ، إذ كما ذكرنا تواً فى هذا التشبيه ان الفنان الذى يقوم بالتلوين ليس جاهلاً بالنسبة للون الذى انتجه حتى بعد أن تنفصل مكوناته وألوانه تعود لاصلها ، وهو يعرف اللون الاحمر والاسود واى لون اخر دخل ضمن المزيج الذى كونه ، فهو يعرف ما هى مكونات المزيج وما آل إليه اللون الاخير للمزيج وماذا سوف ينتج لو قام بمزج نفس الألوان مع بعضها مرة أخرى بنفس الطريقة .

إذا النفس تعرف جيداً ما هى العناصر التى إتحدت مع بعضها لتكون جسم الانسان والتى امتزجت بها النفس ايضاً وحتى بعد تحلل هذه العناصر ، حتى لو باعدت الطبيعة بين هذه العناصر نتيجة اختلاف هذه العناصر عن بعضها من حيث طبيعة كل منها

والتي تمنع إمتزاج العنصر مع العنصر المضاد له فان النفس ـ برغم كل هذا ـ تظل موجودة مع كل عنصر بصرف النظر عن إختلاف طبيعتها مع طبيعة هذا العنصر وذلك من خلال قدرتها على معرفة ذلك ، وسوف تبقى هكذا لحين اتحاد هذه العناصر مع بعضها مرة اخرى لاعادة تكوين واتحاد هذه العناصر المتحللة وهو ما نطلق عليه «القيامة».

اغريغوريوس: وقلت: انى اراك بهذا تقدمين اعظم برهان يؤكد عقيدة القيامة ، وهكذا اصبح من الممكن اقناع الذين يشككون فيها عن طريق هذه البراهين اذ انهم يعتقدون انه ليس فى الامكان عودة العناصر للاتحاد ببعضها مرة اخرى لتكون نفس الانسان ثانية .

ماكرينا: اضافت معلمتي: انت مصح تماماً فى هذا ، اذ تسمع بعض الناس المقاومين لعقيدة القيامة يتساءلون كيف بعد تحلل العناصر تحليلاً كاملاً وعودتها لأصلها كيف يمكن أن تنسحب من أصلها لكى تعيد الانسان مرة أخرى؟ فالحرارة مثلاً بعد موت الانسان تنفصل من الجسد وتتحد مع أصلها فى الكون... فكيف تنسحب من الاصل مرة اخرى وتعود لتتحد بجسم الانسان؟ وسوف يقولون إن لم تعد نفس العنصر بالتحديد لتكوين الانسان فسوف تكون النتيجة تكوين إنسان مشابه للاول ولكنه ليس هو ، وهذه العملية لا تسمى قيامة بل هى خلق انسان جديد مختلف عن الانسان الاصلى ، ولكن لو اردنا إستعادة نفس الانسان فيجب إعادة نفس العناصر الأولى تماماً بطبيعتها وبكل صفاتها الأصلية .

اغريغوريوس: اذاً فكما قلت ان هذه النظرية عن النفس هى اكبر رد مقنع للمعارضين للقيامة ، فحتى بعد تحلل العناصر وعودتها لأصلها فإن النفس تظل هى الحارس الذى يظل متحداً بهذه العناصر حتى بعد عودتها لاصلها ولا تفقد هنا خصوصيتها ابداً ولا تبدل طبيعتها الغير مادية ، انها لا تبعد عن العناصر عند تحللها وعودة كل عنصر للاتحاد باصله بل تظل متحدة بالعنصر دون أن تتغير ماهيتها وتظل مرتبطة بالعنصر على طول الخط إلى أن تعود العناصر لتتحد مع بعضها مرة اخرى ليعود الانسان الى الحياة فى القيامة فهى ما زالت داخل العناصر وداخل الانسان وعناصره أينما وكيفما رتبت الطبيعة هذه العناصر ، وعندما تتحد هذه العناصر التى تحللت بقدرة ذاك الذى يحكم كل الاشياء فإنها تكون مثل الحبال المعلقة من نقطة بداية واحدة فكل

منها يتبع نفس المنوال وفى وقت واحد لتعيد تكوين الانسان مرة اخرى .

ماكرينا: قالت معلمتي: وها تشبيه آخر يمكن أن نضيفه الى الامثلة المنطقية التى سقناها من قبل كدليل على ان النفس لا تجد صعوبة فى التمييز بين العناصر التى ها والعناصر البعيدة عنها ولم تكن لها اتحاد بها ، دعنا نفترض ان هناك بعض الطين الموجود لصنع بعض الأنية ، والجزء الاكبر منه تم إعداده بالفعل لصنع زهريات بأشكال مختلفة ، واحدة صنعت كأنية للخمر واخرى على شكل طبق أو وعاء أو أى أنية مفيدة ، ويظل باقى الطين المجهز لصنع أوعية أخرى ، ولنتخيل ان هذه الاوعية التى صنعت من الطين لا يملكها نفس الشخص ولكن كل واحدة قد امتلكها شخص ما يختلف عن الاخر ، فطالما كانت الانية سليمة ومحتفظة بشكلها فان صاحبها يعرفها جيداً وحتى لو تهشمت فإن صاحبها يستطيع ايضاً ان يميزها عن غيرها .

فهذه قاعدة الكأس التى تكسرت وهذه تتبع الزهرية التى تحطمت وهكذا يمكن تمييز كل قطعة حتى بعد كسرها ، وحتى لو قمنا بمزج الطين المكون للقطع التى تحطمت بالطين الباقى دون أن يستعمل أصلاً فإن صاحبها يستطيع تمييز الاجزاء التى كونت الأنية عن الطين الذى لم يستعمل بعد .

فبنفس الطريقة كل إنسان منا له شكله الخاص والمميز له الذى نتج عن إتحاد العناصر بعضها ، وبرغم أن كل البشر يتكونون من نفس العناصر إلا ان كل إنسان له شكله الخاص والذى يميزه عن بقية الناس الذين من نفس جنسه ، وعندما يموت الانسان وتتحلل عناصره فإن النفس ـ التى هى مالك الزهرية ـ تستطيع ان تميز ما يخصها من االعناصر التى تبقت ، ولا تنفصل النفس عن هذه العناصر ـ اى ان القطع التى تكسرت من الزهرية ـ حتى لو اتحدت هذه العناصر مع المادة الأصلية لها والتى لم تستخدم بعد ، فهى دائماً تميز ما يخصها وتعرف وتحتفظ بصورته عندما كان الانسان حياً ، وحتى بعد أن تتحلل العناصر فإن النفس تميز الملامح الخاصة للأجزاء المتبقية ، فهى لا تخطئ ابداً فيما يتعلق بهذه الأجزاء .

اغريغوريوس: وقد اقتنعت تماماً بما قلته اضفت: من الأفضل أن نوضح هذه الأمور وأن نؤمن بها عن إقتناع ، فان ساق أحدهم لنا قول الكتاب المقدس الذى جاء على

لسان الرب بخصوص الذين في الجحيم لكي يقاوموا ويعارضوا ما ذكرناه تواً ، فماذا نستطيع ان نفعله لكي نستعد لمجابهتهم .

ماكرينا: قالت: ان الوحي الالهى وجه روايته اكثر الى الناحية الجسدية للانسان ، هناك الذى فصل الشر عن الخير «هوة سحيقة» (لو١٦: ١٩) عندما تحدث عن الشحاذ الذى يبل طرف اصبعه بالماء ليقدمه للشخص الذى فى العذاب (الغنى) ويعتبر حضن ابراهيم هو مكان انتظار للإنسان الذى جاهد فى هذه الحياة ، فبعد أن وصف الانسان الميت بانه وضع فى القبر ـ دعنا ننقل بصر القارئ سريعاً ـ ونقول باى نوع من العيون نرى الرجل الغنى الذى فى الجحيم ورأى الفقير مع ابراهيم وهو قد ترك عيونه مع جسده فى القبر؟ وهذا الذى بلا جسد كيف شعر بالنار التى وضع فيها؟ واى لسان كان يريد ان يبرده له اليعازر بقطرة من الماء؟ إذ أنه فقد لسانه مع جسده بعد الموت! واى اصابع سوف تحمل له قطرات الماء؟ وحضن ابراهيم نفسه ماذا يكون بالضبط؟ اذ ان الاجساد رقدت فى القبر ونحن نعرف ان النفس ليست هى الجسد ولا تتكون من أجزاء ، انه لمن الصعب ان نطبق هذه القصة على الواقع حيث اننا نتقبلها ببساطة القلب والعقل ، فيجب أن نعقل كل جزء من القصة بشئ نظرى فمثلاً الهوة التى توجد بين الملكوت والجحيم فلتكن مساحة من الأرض ، فما المشكلة فى عبور شئ غير مادى أو معنوى فوق هذه الهوة؟ وحتى لو كانت مساحة هذه الهوة شاسعة فكما نعرف أن الأشياء المعنوية لا تقيد بزمن وهى موجودة فى كل مكان تريد أن توجد فيه فما المشكلة اذن؟

اغريغوريوس: قلت: إذن ما هى النار او الهوة او ما هى بقية الأشياء التى ذكرت فى القصة؟ إن لم تكن نفس الاشياء فى الطبيعة؟

ماكرينا: قالت: يبدو لى ان الوحى الالهى اراد من خلال هذه الفاصيل ان يوضح بعض النقاط المتعلقة بموضوع النفس الذى نحن بصدده .

فقد قال ابراهيم للرجل الغنى «لقد استوفيت خيراتك على الارض وانت فى الجسد» وايضاً قال عن الفقير لعازر «هذا الرجل استوفى جهاده بإحتماله العذاب فى حياته» وبخصوص الهوة التى توجد لتفصل ناحية عن الاخرى فيبدو لى ان الوحى الالهى يؤكد بها على عقيدة هامة ـ وهذا من وجهة نظرى ـ ما عناه هنا ، ففى البداية كانت حياة

الانسان بسيطة ، أقصد بهذا انه كان يفعل الصلاح فقط ولا خلطة له مع الشر ، إذ كان هذا هو نص أول وصية إلهية ، اذ قد اعطت للانسان ان يتمتع بكل شئ جميل فى الفردوس ومنعته فقط من اختلاط الخير والشر ، وهذا شئ ضد الطبيعة ، ووضع الموت كعقوبة لمن يخالف هذه الوصية ، ولكن الانسان بكامل ارادته وحريته تخلى عن طبيعة الغير ممزوجة بالشر واختار لنفسه حياة عبارة عن مزيج من المتضادات ، ومع ذلك فلم تتركنا المشيئة الإلهية بدون تصحيح لاختيارنا السئ ، فعندما أتى الموت وحل علينا كنتيجة حتمية لمخالفة الله ، وقتها انقسمت حياة الانسان الى قسمين: جزء منها يكون فى الجسد ثم يليه جزء اخر خارج الجسد ، ولكنهما يختلفان فى مدة كل منهما ، واحدة تكون قصيرة جداً والاخرى ممتدة للابد ، ومن فضل الله أنه اعطى للانسان الحرية الكاملة ان يختار الحياة التى يريدها لنفسه ، اقصد حياة صالحة او شريرة وجعل لنا حياة قصيرة هنا ويترتب عليها الحياة الاخرى الابدية الممتدة الى ما لا نهاية ، فالخير والشر ينشأن من نقطة واحدة نتيجة لعاملين هامين هما العقل والحواس ، وهناك مجموعة من الناس تعتبر ان الشئ الحسن فقط هو ما يمتع الحواس ، والمجموعة الاخرى تعتبر ان الشئ الحسن هو ما يتعلق بالفكر الذى ينشئ الصلاح ، فإن المجموعة الأولى من البشر تفتقر الى العقل ولا تسعى للافضل وهؤلاء من خلال انغماسهم فى حياة الجسد يفقدون مشاركة الجزء الصالح الموجود أصلاً فى طبيعتهم وهكذا ولا يدخرون شيئاً على الاطلاق للحياة الاخرى .

والمجموعة الاخرى من البشر يحيون على الارض بالعقل والحكمة ويتحملون فى هذه الحياة القصيرة اشياء كثيرة لا تمتع الحواس مفضلين التمتع بالحياة الاتية التى سبقهم اليها كثير من الصالحين .

هذه ـ من وجهة نظرى ـ هى الهوة التى قصدها الوحى فى قصة الغنى ولعازر ولم يكن يقصد بها مساحة من الارض بقدر ما كان يقصد بها اختيار الانسان بين نمطين متضادين فى الحياة ، وبمجرد ان يختار الانسان التمتع بهذه الحياة ولا يسعى الى تغيير اختياره بتغيير قلبه أولاً فإنه يكون قد اختار لنفسه مكاناً خالياً من كل شئ جيد فى الحياة الاخرى وكأنه وضع نفسه فى قبر عميق ولا منفذ له .

وايضاً يبدو لى ان الوحى الالهى استخدم عبارة «حضن ابراهيم» ـ الذى يجد فيه

المريض المتألم كل الراحة ـ وهى رمز للحالة الصالحة للنفس .

لان ابراهيم هو اول شخص ـ ذكر فى الكتاب المقدس ـ اختار لنفسه ان يحيا على رجاء الحياة الآتية مفضلاً هذا عن التمتع الوقتى فى هذه الحياة ، فقد تخلى عن كل شئ كان يملكه فى بداية حياته ، وتغرب فى الأرض ، واستحق المستقبل المشرق نتيجة عذابه على الارض ، تماماً كما تستخدم كلمة «حضن» عندما نصف حافة جزء من البحر ، فإنه يبدو لى أن الوحى الالهى استخدم كلمة «حضن» كرمز للمواعيد الغير محدودة التى سوف ينالها هؤلاء الذين سلكوا بالقداسة خلال حياتهم الارضية ، فسوف تتنعم نفوسهم فى هذا الحضن الجميل مثل الحصن المنيع .

ومن جهة اخرى ، بالنسبة الى المجموعة الاخرى من البشر فإن حرمانهم من هذه الاشياء التى تبدو جيدة لهم هو بمثابة لهيب نار يحرق نفوسهم وسوف تحتاج وقتها ـ لكى تستريح ـ بضع قطرات من بحر الصلاح لكى تغسل فى حبر القداسة ولكنها لن تحصل عليها .

وبالنظر الى باقى الكلمات مثل اللسان والعين والأصابع وبقية المصطلحات الخاصة بالجسد فلو تأملتها عن قرب فسوف تؤكد لك تماماً ما سبق وقلناه ونحن نتجادل حول النفس ، إذ أنه كما قلنا فإن اتحاد العناصر مع بعضها يخلق المادة التى تصنع الجسد كله فان كانت النفس مرتبطة بهذه العناصر حتى بعد تحللها فانها تكون متحدة بها ايضاً عند اتحادها معاً مرة اخرى لتعيد الجسد الى الحياة فى القيامة فتستطيع النفس ليس فقط ان تعرف على العناصر التى تحللت واتحدت مع بعضها مرة اخرى لتكون الجسد بل ايضاً تميز الاجزاء المختلفة التى تجمعت مرة اخرى لتكون نفس الشخص مرة اخرى ، ولهذا فليس من الصعب ان تعتقد ان النفس موجودة داخل العناصر وهى متحدة مع بعضها ، وايضاً موجودة داخل العناصر بعد ان تتحلل وتتباعد عن بعضها ، ولهذا فعندما ينظر اى شخص الى العناصر التى تتحد مرة اخرى لتكون اعضاء الجسم ويتأمل قول الوحى الإلهى عن الاصابع والعين واللسان ويتذكر وجود النفس حتى بعد تحلل كل الجسد فلم يجد صعوبة فى فهم قول الوحى الإلهى ولن يجد ما يبلبل أفكاره .

فى ذلك الحيم ، لو اقتادت الاجزاء المتفرقة العقل بعيداً عن الاشياء المادية فيحق لنا

ان نقول ان ما يطلق عليه لفظ «الجحيم» ليس مكاناً محدداً ولكنه نوع من الحياة الغير مرئية والغير مادية ويعلمنا الوحى الإلهى أن تقودنا إليه .

ومن خلال قصة الغنى ولعازر يمكننا أن نتعلم شيئاً آخر وهذا الشئ سيكون مفيداً فى تأكيد بحثنا ، وهو ان هذا المثل يبرز لنا الرجل الغنى كانسان شهوان يحيا حياة الجسد ، وعندما مات ورأى عاقبة اختياره السيئ فى هذه الحياة اشفق على اخوته الذين لا زالوا يحيون على الارض نفس نوع الحياة التى كانت له ، وعندما اخبره ابراهيم انه لا شئ يقدم لهؤلاء إلا الناموس والانبياء الموجود بين ايديهم الا ان الغنى استمر فى الالحاح بان يرسل ابراهيم لهم واحداً من الموت يقوم فيؤمنوا بالناموس والأنبياء .

اغريغوريوس: قلت: وماذا يمكننا أن نتعلمه من هذا؟

ماكرينا: اضافت: بينما كانت نفس لعازر تركز كل اهتمامها بوجودها الحالى فى حضن ابراهيم وغير مرتبطة باى شئ مما تركه لعازر فى الدنيا ، إلا ان الرجل الغنى ـ حتى بعد موته ـ كانت نفسه متعلقة بالجزء المادى من الحياة التى لم تترك فكره برغم انه تركها ومات ، فهو لا يزال يفكر فى الجسد والدم ، فمن الواضح انه لم يتحرر بعد من التعلق المادى بالحياة فى الجسد الذى يتحرر منه كل من ينتقلون من هذه الحياة بالموت .

وقالت **ماكرينا**: اعتقد مع وجود هذه الحقائق ان الرب يعلمنا وبخاصة يعلم الذين يحيون حياة الجسد انه يجب عليهم ان ينفصلوا بعض الشئ عن حبهم للجسد خلال سلوكهم فى حياة الفضيلة وان يتحرروا من عاداتهم الجسدية لكى لا يحتاجوا بعد موتهم الى «موت ثان» يستطيعون خلاله ان ينقوا انفسهم من بقايا ارتباطهم الوثيق بالجسد .

فعندما تنكسر السلاسل المقيدة للنفس فإنها تصعد بخفة وحرية اكثر اذ لا يشدها لاسفل ثقل الجسد ، ولكن لو سيطرت على اى شخص حياة الجسد واستخدم كل طاقات النفس لتحقيق شهوات جسده فلن يستطيع هذا الشخص ان نفصل عن هذه الخبرات التى اكتسبها من حياته الجسدية البحتة حتى لو فارق الحياة وفارق الجسد .

تماماً مثل الذين قضوا وقتاً طويلاً يتنفسون هواء فاسداً حتى بعد انتقالهم الى مكان اخر فيه هواء نقى لا يتخلصون من اثار الهواء الفاسد فى لحظة بل بعد حين لكثرة

تعرضهم للهواء الفاسد لفترة طويلة ، وهكذا ايضاً الذين يحبون الجسد حينما يموتون وينتقلون الى الحياة الغير مرئية الابدية فلا يمكنهم التخلى عن الجسد ولا يمكنهم التخلص من رائحة الحياة الجسدية بسهولة .

فلهذا فهم يكونون فى ضيق عظيم فى ذلك الوقت ونفوسهم تتسمر وتتخشب نتيجة للوضع الذى اصبحوا عليه ، ويبدو ان هذا الافتراض يوضح ـ بعض الشئ ـ ظاهرة ظهور اشباح الذين انتقلوا بجوار القبور .

فلو كان صحيحاً فان النفس تكون فى إلتصاق تام بحياة الجسد ولهذا فحتى بعد انطلاقها من الجسد تظل مرتبطة به ولا تريد تركه نهائياً ، فهى لا تستطيع تقبل فكرة موت الجسد تحلله ولذا فالنفس تظل هائمة حول المادة والاماكن التى توجد بها المادة وتعود باستمرار اليها .

اغريغوريوس: ولكننى عدت قليلاً الى نقطة سابقة فى حوارنا وقلت: انه يبدو لى ان ثمة تعارضاً بين ما نقوله الان وما استنتجناه سابقاً فيما يتعلق بالانفعالات ، فمن ناحية نجد ان هذه الانفعالات المتعلقة بالنفس نعتقد انها تنشط داخلنا نتيجة غرائزنا المشابهة للحيوانات الغير عاقلة ، وانا هنا اقصد الانفعالات التى ذكرناها فى مناقشتنا وهى الغضب والخوف والشهوة والمتعة واشياء مثل هذه ، ومن ناحية اخرى يقال ان توظيف هذه الانفعالات فى الصلاح هو حياة الفضيلة وان الشر يكمن فى سوء استخدام هذه الانفعالتا ، وبالاضافة الى هذا فقد تأملنا كثيراً فى كيفية وضع هذه الانفعالات فى استعمالها الامثل وبصفة خاصة ركزنا على اننا ننقاد الى الله عن طريق الشهوة المقدسة فهنا يبدو لى بعض التعارض .

ماكرينا: ماذا تعنى؟

اغريغوريوس: قلت: بما ان كل انفعال «لاعقلانى» يزول مع تطهير الانسان ، اذ فان عنصر الرغبة ذاته سوف لا يوجد داخلنا ، وان كان الامر كذلك فسوف لا يكون هناك تقدم فى حياة الانسان للافضل اذ ان النفس لم يعد لديها عنصر الرغبة للافضل .

ماكرينا: قالت: نرد على هذا البيان نقول ان الافراز والتمييز هما من سمات الجزء المقدس فينا المشابه لله والموجود فى النفس ، لانه من خلال الافراز والتمييز نستطيع ان

ندرك حتى الله نفسه ، وعندما تتحرر النفس من الانفعالات الشريرة إما نتيجة جهادنا على الارض أو نتيجة لتطهيرنا بعد ذلك ، فان النفس وقتها سيتوقف سعيها نحو الافضل ،ذ ان الشئ الجميل بطبيعته الخاصة جداً ، جذب كل شخص ينظر نحوه .

فان تحررت النفس من جميع الشرور فسوف تقع بالكامل داخل دائرة الجمال والصلاح ، ولكن الشئ الجميل هو الشئ المقدس وهو الشئ الوحيد الذى ستكون النفس مرتبطة به نتيجة لنقائها من الشرور جميعها ، وقتئذ ستكون النفس فقط مرتبطة مع ما يتمشى مع طبيعتها النقية ، فان حدث هذا فسوف لا تكون هناك حاجة للسعى نحو الصلاح والجمال الذى يبدأ بالرغبة فيه .

كمثال الانسان الذى يحيا فى الظلام فهو يشتهى ان يرى النور ولكنه عندما يحيا فى النور لا يعود يشتهيه لانه يتمتع به ، ومتعة الانسان بالنور الذى يحيا فيه تطغى تماماً على رغبته فى ان يحيا فى النور بل تقضى على هذه الرغبة تماماً .

ونفس الشئ يحدث لنا عندما تحرر النفس من كافة الشرور فانها لا تعود تشتهى القداسة لانها تحيا فيها بالفعل وفى هذه الحالة تكون النفس قد عادت الى طبيعتها الاولى وهى حالة النقاء والقداسة ، واذا نظرت النفس وقارنت نفسها بالنموذج الاصلى الذى خلقنا الله عليه فكأنما تنظر الى نفسها فى مرآة وترى صورتها .

فمن الممكن فعلاً ان نقول ان تخيل النفس للطبيعة الاسمى منها هو تخيلها للطبيعة الالهية نفسها .

فان الطبيعة التى تفوق التصور بعيدة تماماً عن تصورنا وهى تقود ذاتها بطريقة تختلف عن الطريقة التى نحيا بها فى هذا العالم .

فالانسان ـ الذى هو بطبيعته دائم الحركة ـ يوجد حيثما يوجهه اختياره اذ ان النفس لا تتأثر بنفس المؤثرات التى تؤثر على الجسد إذ انها لا تتأثر كثيراً بما جاء أولاً وما جاء اخيراً ، ولكن الرجاء الذى يدفعنا للامام دائماً فى طريقنا ثم تأتى الذاكرة التى تلى الرجاء الذى يدفعنا للامام فى حياتنا الروحية ، فان دفعنا الرجاء الى ما هو جميل بطبيعته فان الذاكرة تحفر فيها طريق بارز مضئ بالرجاء ، وبالعكس إن تخلت النفس عن مواطن جمالها وتنخدع بالرجاء الكاذب والمزيف فان الاشياء المشينة هى التى تنطبع فى

الذاكرة وبهذا نجد ان هناك حرب داخلية مع النفس وبها تقف الذاكرة بجانب الرجاء حسبنما يوجه الرجاء النفس فى إتجاه الفضيلة او العكس ، والاحساس بالخجل يجلى العقل والنفس ايضاً فتندم على ما فعلت وتلمع من جديد «فكرة التوبة» وتظهر اوضح كما لو كان سوطاً قد وقع عليها فأيقظها وتنتصر النفس فى معركتها مع الالم .

وهذه هى فضيلة الرجاء ان الانسان يرجو ما يراه حسناً اياً كان هذا الشئ الحسن الذى يتراءى للانسان ، اذ ان الرجاء يكون للاشياء الغير موجودة فقط كما يقول الرسول «لان ما نظره أحد كيف يرجوه ايضاً» (رو٨:٢٤) وايضاً الذاكرة لا نحتاجها إلا الاشياء الغير موجودة إذ لو كان الشئ حاضراً لما احتجنا الى ذاكرة تذكرنا به .

ولهذا كما ان الروح القدس او الذات الالهية هى فوق كل فضيلة وكل شئ حسن وكما ان الشئ الحسن يقود الى الاحسن فان النفس داخلنا ترجو الافضل وتضع نصب عينيها الروح القدس الموجود داخلنا ايضاً وبذلك لا تعود تشتهى أو ترجو اى شئ من الخارج اذ تشعر بشبع داخلى .

ولكن خارج نطاق الروح القدس فلا شئ الا الشر الذى يوجد فى المكان الخالى من الخير ، لانه لو امتلأت النفس بكل ما هو صالح لما وجد الشر مكاناً له فيها .

فعندما تتحرر النفس من كل الانفعالات الشريرة فانها تكون شبيهة بالروح القدس وبالله نفسه ولا تجد الشهوة مكاناً فيها وتصبح نقية تماماً فلا يوجد فى النفس مكان للرجاء او الذاكرة .

اذ ان النفس تمتلك ما تمنته طويلاً ونظراً لتركيز النفس على التمتع بالفضيلة فإنها تحاول طرد الذاكرة (الافكار الشريرة) من فكرها تماماً ، وهكذا تتشبه النفس بالحالة التى ستكون عليها فى الحياة الاخرى التى لن يشغلها فيها الا ما هو نابع من الطبيعة الالهية فلا وجود لاى شئ اخر فى النفس سوى الالتصاق بالمحبة والفضيلة .

وما هذا الا المحبة ذاتها التى نعرفها حالة من توجه العقل الى التفكير فيما يسره ويبهجه .

فعندما تصبح النفس بسيطة وغير معقدة ومشابهة لله فإنها وقتئذ سوف تكتشف

الصلاح والبر اللذين هما ايضاً يتميزان بالبساطة واللامادية .

والبر هو الشئ الوحيد فى الوجود الذى يتميز بانه محبب ومرغوب ، فتلتصق النفس به وتذوب فيه وتتحد به وتتشكل النفس من خلال ما تدركه وتكتشفه من خلال إتحادها بالبر وعندما تصبح النفس فى صورة مشابهة تماماً للبر والفضيلة (يساعدها فى ذلك طبيعتها التى تميل للصلاح) فان الرغبة لا يعود لها وجود فيها حتى لو كانت الرغبة فى الصلاح حيث تكون النفس قد وصلت اليه بالفعل .

وعندما تصل النفس لهذه الحالة من الانطلاق فان حاسة الشهوة لن توجد فيها اساساً اذ انها توجد فقط عندما يكون الشئ المرغوب فيه ليس فى طاقتها ، وقد اشار الرسول القديس الى هذه النقطة عندما حدد نهاية ومسار كل شئ شتهيه ونرغبه (حتى لو كانت رغبة للافضل) لنصل فقط لى الحب الذى بلا حدود ، حينما قال «كل نبوة ستختفى وكل علم سيبطل ولكن المحبة لا تسقط» (١كو١٣ :٨) وكأنه يقول ان المحبة دائماً هى هى لا تتغير ، وعندما قال ان الايمان والرجاء يبقيان مع المحبة (١كو١٣ :١٣) فانه عاد ووضع المحبة فوقهما ومعه حق .

لان الرجاء يحرك الانسان طالما انه لم يبلغ بعد الشئ الذى يرجوه ، وبنفس الطريقة فان الايمان يثبت الانسان تجاه الشئ الذى يرجوه ولا يتأكد منه .

فقد عرفه الرسول قائلاً «الايمان هو الثقة بما يرجى» (عب١ :١) فعندما يصل الانسان لما يرجوه عندئذ تختفى الاحاسيس الاخرى ولا تبقى الا المحبة التى لا تسعى لتحقيق النجاح فى شئ آخر ، وعلى هذا تكون المحبة هى الاولى بين جميع الانشطة المتعلقة بالقداسة ، والفضيلة الاولى بين متطلبات الحياة الروحية .

فمتى حققت النفس الوصول لهذا الهدف فسوف لا تحتاج لاى شئ اخر حيث تكون قد وصلت للامتلاء ويبدو ان هذا فقط هو الذى يحفظ داخله النفس المقدسة المباركة وتصبح المعرفة هى المحبة لان كما تعرفه النفس فى هذه الحالة هو الضفيلة والصلاح فقط .

والاشباع الاهوج لا يمكن ان يلمس الشئ الجميل حقاً ، اذ ان فضيلة حب البر لا تنتهى بالاشباع وهكذا نجد ان الحياة الروحية ـ الجميلة بطبعه والتى تحث على كل شئ

مقدس ـ سوف تزدهر وتنشط دائماً من خلال فضيلة المحبة وسوف لا يكون هناك حدود للمحبة لأننا نفترض ان الجمال ليس له حدود تجعل المحبة تتوقف عند حد معين ، فالجمال يصل لنهايته ـ فقط ـ خلال ضده ، فمن صفات الجمال انه لا يتقبل اى شئ سفلى وانه يستمر هكذا بلا نهاية وبلا حدود نحو الصلاح ، ونظراً لان كل طبيعة تنجذب نحو الشئ الذى يلائمها ولان الطبيعة البشرية ـ الى حد ما ـ مشابهة لله اى ان الانسان هو صورة للاصل وهو الله ، اذن فالنفس حتماً سوف تنجذب نحو القداسة لتكون صورة منها ، وتحاول ان تحتفظ بكل ما له علاقة بالله ، فلو وصلت النفس لحالة من الشفافية والبساطة وتحررت من الاثقال المادية التى تضغط عليها فسوف تصل الى الشئ الذى انجذبت اليه ببساطة وفرح ، ولكن لو تثقلت النفس بالعالم ونشبت فيها اظافر العادات المادية فإنها تصبح مثل الاجساد التى تنحشر بين بين الانقاض عند وقوع الزلازل، دعنا نفترض هذا ـ لكى نتفهم اكثر ـ اذ ان الاجساد لا تنحشر فقط بل ايضاً تنشب فيها بقايا الاخشاب والانقاض .

فان الاجساد التى تلبث هكذا الى ان ينقذها الاقارب سوف تعانى كل انواع الالام المبرحة ، الانقاض والاخشاب وخلافة سوف تطحنها ، ويخيل الى ان النفس تعانى نفس الالام الى ان يحررها الروح القدس من الانقاض المادية كلها .

ومن وجهة نظرى ، ان الله لا يسمح بهذه الظروف المؤلمة لهؤلاء الناس الذين أخطأوا أو هؤلاء الذين يؤدبهم لانه يكرههم او لكى يدينهم على حياتهم الشريرة ، بل انه ـ وهو مصدر كل صلاح وبركة ـ يجتذبهم نحوه لغرض اسمى من هذا ، اذ انهم بعدما ذاقوا الالم فى بعدهم عن الله مثلهم مثل الذى ينقى الذهب من الشوائب خلال صهره بالنار فانه لا يصهر الشوائب فقط بل يصهر الذهب ايضاً مع الشوائب ، وبينما تختفى الشوائب فإن الذهب النقى يبقى وينجلى ، وهكذا عندما يختفى الشيطان بنار النقاوة ، فمن الضرورى أن النفس الغارقة فى الشر تدخل النار حتى يتم تدمير كل الشوائب والماديات التى أحاطت بها ولصقت بها .

أو تخيل معى مثالاً آخر لهذا الرأى ، مثل حبل مغروس فى الطين (الوحل) ثم يحاول شخص ما ان يسحب الحبل لاعلى من الطين من خلال ثقب ضيق من اعلى ، فيجب على الشخص ان يسحب الحبل بعنف ويشده بسرعة ودفعة واحدة لكى لا

يسحب الطين مع الحبل ، اى لكى يصير الحبل نظيفاً من الطين فانه يسحب من فتحة ضيقة وبعنف وبسرعة ، فلو طبقنا هذا المثل على النفس التى تثقلت لاسفل بفعل الضغوط المادية الارضية فان هذه النفس تحارب وتجاهد عندما يجذبها الله نحوه لانها خاصته .

فان الشوائب العالقة بها تنتفض عنها خلال عملية جذب الله لهذه النفس وهذا ما يسبب الألم العميق والغير محتمل احياناً .

اغريغوريوس: قلت: اذن حسب كلامك فان القضاء الالهى لا يوقع العقوبة على الذين أخطأوا بل انه يعمل فقط على فصل الجيد عن الشرير ويجذبهم نحو الله لكى يشركهم فى البركات السماوية ، وان عملية فصل الشر الذى امتزج بهم هى التى تسبب لهم هذا الألم الذى يحسونه عندما يجذبهم الله نحوه .

ماكرينا: اضافت معلمتى: وهكذا ـ حسب رأى ـ فأن الالم حجمه يتناسب مع كمية الشر داخل كل انسان ، لانه ليس منطقياً ان الشخص الذى انغمس كلية فى الشرور المحرمة والشخص الذى وقع فى تعديات بسيطة يقاسيان نفس الألم عندما يتنقى كل منهما من شروره ، فان اللهب المؤلم سوف يشعر به الانسان بدرجة تتناسب مع ما اقترفه من شرور وسوف يظل يشعر به طالما انه يحتفظ بالاشياء التى تغذى وتنعش هذه الشرور داخل نفسه فلوكان هناك شخص متعلق بالاشياء الأرضية تعلقاً شديداً فلابد أن اللهب الذى ينقيه سوف يستمر طويلاً حتى تتم نقاوته بالكامل بينما لو لفح اللهب إنساناً لمدة قصيرة وبمقدار اقل فبالضرورة يكون السبب هو قلة نسبة الشر فى ذلك الانسان .

ومن الضرورة الحتمية ان ينتزع الشر باكمله من داخل النفس التى يوجد بها حتى يختفى منها تماماً .

وفوق كل هذا فكما قلنا آنفاً فان الشر لا يوجد داخل اى نفس الا اذا كانت هذه النفس ترغبه ، فان كانت النفس رغبتها منحصرة فى الله فقط فان الشر سوف يختفى تماماً ، حيث لم يعد هناك مكان مناسب له .

اغريغوريوس: ولكنى قلت: وما دور الرجاء اذاً بالنسبة لانسان يفكر فى مدى قسوة

الالم المبرح الذى ينتظره حتى ولو كان لمدة سنة واحدة؟ وايضاً ماذا لو امتد الالم الغير محتمل ليستمر لفترة ممتدة ليس لها نهاية محددة؟ وهل يكون هناك رجاء لشخص يعلم ان خطاياه قد جلبت له الدينونة طوال حياته الأبدية؟

ماكرينا: قالت معلمتي: هذا يعنى أننا يجب أن نفكر مقدماً فى الوقت الذى نحتاجه اما لكى نؤمن نفوسنا ضد الامتزاج بالشر ثم التحرر منه فى حالة الوقوع فيه ، واما لكى نوازن الامور ان كان ليس فى مقدورنا التحرر من الشر نظراً لضعف بشريتنا ، فيجب أن نضع فى اعتبارنا بقدر الامكان ان يكون انحرافنا خفيفاً وفى امور بسيطة يمكن الرجوع عنها بسهولة كما جاء فى تعليم الرسول (مت١٨: ٢٣) الذى يخبرنا عن الانسان المديون بعشرة الاف وزنة واخر مديون بخمسمائة دينار واخر بخمسن واخر مديون بنس واحد الذى هو اصغر العملات ، ثم يخبرنا ان الحكم العادل لله طبق عليهم جميعاً ، وان رد الدين يتناسب مع حجم هذا الدين حتى مع المديون باصغر العملات فقال الرسول ان رد الدين ليس هو رد المبلغ نفسه نقداً بل ان «المديون يوضع فى السجن حتى يوفى ما عليه من دين» تماماً كأنه يقول ان الدفع يكون بوضع المديون فى السجن .

فان الدين بسبب انغماس الشخص فى هموم الحياة ولانه فضل المتعة ، وحالما يترك هذا الشخص ويطرح عنه ما علق به فانه يصبح حراً وغير مقيد بشئ ، فالحرية تعنى عدم الاعتماد على احد وألا يقود الانسان اى شئ ، وقد منحها لنا الله فى البداية ولكنها حجبت عنا بسبب خزى خطايانا وديوننا .

لان الحرية هى هى لا تتغير ولا تتجزأ ، اذاً كل شئ حر ينجذب للشئ الذى يشابهه فى طبيعته ، وهكذا فان الحرية كلها ليس لها سيد يسوسها ، وهى تتمثل فى حياة القداسة حيث لا يتسلط اى شئ شرير على الانسان ولان الطبيعة الالهية هى مصدر كل قداسة فان الذين تحرروا من الفساد يثبتون تلقائياً فى الطبيعة الالهية كما قال الرسول «حتى ان الله يصبح الكل فى الكل» (١كو١٥: ٢٨) وهذا القول يدعم بوضوح الرأى الذى توصلنا اليه سابقاً فى حديثنا معاً ، حينما قلنا ان الله ينعكس على حياتنا فيصبح كل شئ فيها وفى كل شئ فيها .

حياتنا هنا على الارض نعيشها بطرق كثيرة ومختلفة عن بعضها البعض فنحن البشر

مشتركون فى اشياء كثيرة مثل والهواء والمكان والطعام والشراب وضوء الشمس وضوء الصباح وفى الاشياء الاخرى من ضروريات الحياة ولكن الله ليس أحد هذه الاشياء ، وعلى اية حال فان الحياة المباركة التى نتطلع اليها لا تتطلب كل هذه الاشياء التى قلناها هنا ولكن لابد منها نحتاج الى الطبيعة الالهية التى ساعتها ستكون كل شئ بالنسبة لنا وسوف تطغى على كل متطلبات حياتنا ، وهذا يتضح جلياً فى الايات المقدسة التى تعلمنا ان الله يصير وحده مكان هذه الاحتياجات اللازمة مثل البيت والملبس والمأكل والمشرب والضوء والثروة والمملكة وكل فكر او حتى الاسم الذى نملكه او اى شئ يعطينا حياة رغدة ولن يبقى الا الواحد الذى يصبح كل شئ موجوداً فى كل شئ ، ويبدو لى ان الوحى المقدس فى هذه الاية يوضح لنا اختفاء الشر بالكامل لانه ان وجد الله داخل كل نفس فسوف لا يظهر الشيطان فى هذه النفوس اطلاقاً ، لانه لو افترض اى شخص وجود الشيطان فكيف يوجد الله مع الشيطان فى نفس المكان؟ فوجود الله معناه طرد الشيطان بلا رجعة .

اغريغوريوس: قلت: فما عسانا ان نقول لهؤلاء الذين اصيبوا بالاحباط من هول ما ألم بهم؟

ماكرينا: اجابت معلمتى: دعنا نقول لهم الأتى: لقد اقترفتم هذه الخطايا بغباء وعن جهل ، اذ انكم تجهلون الخير الذى يهدف اليه كل انسان بار فى العالم وايضاً تجهلون ان كل شئ يجب أن نزنه بميزان الطبيعة الالهية المقدسة وان هناك أولويات وحكمة فائقة خلق بها الله لنا كل شئ ، وان الله خلق الطبيعة العاقلة لهذا السبب اى لكى تشعر وتقدر قيمة الخير والقداسة ، وقد اعطى الله هذه الطبيعة العاقلة (اى البشر) القدرة على الاختيار والحكمة التى تتزين بها النفس البشرية كزهرية جميلة عندما تؤدى بها هذه الحكمة الى اختيار البر والصلاح ودائماً تعطى مكاناً لنمو هذه الحكمة لكى ترجو المزيد من البر والخير اللذان يوجدان داخل النفس ، فتنمو هذه النفس فى البر لان الحكمة المقدسة تغذيها دائماً باسباب الحياة الروحية المقدسة ، وطالما ان النفس تتغذى باستمرار بهذه الحكمة فسوف تنمو وتتقدم ولا تقف عند حد معين لانها متصلة بمنبع كل الفضائل الذى يفيض فيها باستمرار وما هذا المنبع الا الاله الواحد الذى يملك على هذه النفس ويعطى هذه النفس من فيضه على قدر ما تحتمل بدون نقص او زيادة ،

فتصبح النفس قادرة على ان تنجذب دائماً للافضل ، فهناك تناسب بين الاثنين ، الاول هو زيادة قدرة النفس على الخير نتيجة لتغذيتها باستمرار من منبع الخير ، والثانى ان المنبع نفسه يفيض اكثر كلما نهلت منه النفس ويسير الاثنان فى خطين متوازيين ، اذاً فمن البديهى ان الذين فى حالة نمو دائم فى البر والفضيلة بلا حدود سوف يبلغون حتماً الى قامة ملء المسيح .

فهل لو وضعنا هذا فى الاعتبار سوف لا نزال نعانى من الطريق الضيق الموضوع أمامنا مستحيل ان يكون طريقنا نحو تحقيق هذه الاهداف السامية بعيداً عن حمل الصليب ، فليس هناك طريق آخر سواه ، واعنى بحمل الصليب ان تتخلص نفوسنا من الاثقال المادية والارضية التى تعلقت بها .

فقط عدما نتخلص من تعاطفنا مع العالم والاشياء التى فى العالم سوف نستطيع وقتها ان نحيا تلك الحياة التى تؤهلنا لأن نتحد ـ من خلال النقاوة ـ بالطبيعة الالهية التى نكون وقتها مشابهين لها .

ولكن حتى لو كنت مستعبداً لجسدك وإن كان تركك للاشياء الى تحبها سوف يسبب لك الألم فيجب أن لا تفقد الرجاء ، فإنك سوف تعاين ان الاعضاء الجسدية المثقلة بغرائزها الآن قد تحللت بعد الموت لتتحول الى طبيعة اخرى اكثر شفافية فتراها وقد ازدادت جمالاً .

اغريغوريوس: قلت: من الواضح فى سياق حديثنا وقد تناولنا فيه عقيدة القيامة أنها عقيدة راسخة ونؤمن بها جيداً من خلال تعليم الكتاب المقدس ولا شك فيها اطلاقاً ، ولكن طبيعة فكر الانسان الضعيفة والمتشككة التى تميل الى تصديق ما سيحدث من أراء فى هذا الموضوع فانى اعتقد اننا يجب ان لا نترك هذا الموضوع بدون أن نضعه فى الاعتبار لنرى ما يجب ان يقال فيه .

ماكرينا: قالت معلمتى: الذين لا يؤمنون بعقيدتنا هذه لديهم أراء كثيرة مختلفة عن بعضها البعض ومختلفة عن عقيدة القيامة ، وبالرغم من أنهم لا يتفقون معنا تماماً إلا أنهم غير فاقدين الرجاء فيها .

فبعضهم يعتقد ان الانسان والحيوان يشتركان فى نفس واحدة تغير جسدها فتكون

تارة داخل الانسان ، وتارة اخرى داخل احد الحيوانات حسب من يسيرها برغبتها ان تكون داخله ان كان طيراً او سمكة او حيواناً برياً ثم تعود مرة اخرى الى الانسان ثانية .

والبعض الاخر يتوسع فى هذه النظرية لتشمل الاشجار ايضاً اذ يعتقدون ان النفس يناسبها ان تحيا داخل اخشاب الشجر .

والبعض الاخر يعتقد ان النفس تنتقل من انسان الى انسان آخر بعد موته ، وتظل هكذا تنتقل بعد موت صاحبها الى انسان اخر ثم انسان ثالث وهكذا ، اما نحن فمن منطلق عقيدتنا الكنسية لا نقبل الا ان نعتقد ان هناك قيامة من الاموات ولكن الذين يقولون ان النفس تذهب لجسد اخر تختاره بعد أن يموت الجسد الذى كانت فيه وتنفصل عنه بالموت ، فهم لم يختلفوا فى قولنا اننا سوف تكون لنا حياة اخرى .

وعندما تكون فكرتنا ان النفس قد صنعت من ذرات كونية فإننا نتفق مع هؤلاء الذين خارج الكنيسة الذين يؤمنون انه ليس هناك جسد لم ينتج من اتحاد العناصر مع بعضها ، ولكن هناك اختلافاً بيننا هو اننا نقول ان الجسد هو الاطار الخارجى الذى يحتوى على نفس واحدة بذاتها ولكنهم يقولون ان النفس تنتقل من كائن لآخر سواء الكائنات العاقلة أو الغير عاقلة او التى لا تحس حيث انها تتكون من اجزاء كونية .

فهم يختلفون معنا فى انهم لا يؤمنون بأن الجسد لا يتكون من نفس العناصر التى تتكون منها النفس ومتصلة بها منذا البداية ، على اية حال دعنا نقدم البرهان ـ من خلال الفسلفة الدنيوية ـ على انه ليس مستبعداً ان تبعث النفس مرة ثانية فى الجسد .

وهذا هو الوقت المناسب لكى نفند آراءهم ونبحثها من خلال عقيدتنا الراسخة الصحيحة لكى نوضح الحقيقة بقدر ما نستطيع .

فماذا تقول نظريتهم فى هذا الموضوع؟ هؤلاء الذين جعلوا النفس تهاجر لاجساد ذات طبيعة مختلفة ، يبدو لى ان هؤلاء قد اختلط عليهم كل شئ فى الطبيعة فمزجوا بين كل شئ ، العاقل وغير العاقل وذوى الحس والذين لا حس لهم (مثل الاشجار) فلم يضعوا حاجزاً طبيعياً يفصل بين هذه الانواع من الطبيعة ، لانهم يقولون ان النفس التى كانت عاقلة ذات منطق وذكاء يحتويها الان جسم يزحف مع الثعابين او جسم يطير مع الطيور او دابة من الدوراب او حيوان متوحش او سمكة او تذهب الى كائن آخر لا يحس

يضرب جذوره فى الارض ويكبر ليصير شجرة او ينبت فروعاً وينتج شوكاً او فاكهة ربما تعذى او تكون سامة ، فهذا الكلام ليس الا رأياً يعتقد ان كل شئ منطبق تماماً مع بقية الاشياء جميعاً وانه هناك طبيعة واحدة لكل الاشياء تمتزج مع بعضها بطريقة عشوائية وانه ليس هناك سلالات تختلف من طبيعة لاخرى وتنفرد بها كل طبيعة على حدة .

فالشخص الذى يدعى ان الشئ نفسه يوجد فى كل الاشياء التى حوله يدعى ايضاً ان كل الاشياء هى واحد ، وفى هذه الحالة فإن الخلافات الظاهرة بين الاشياء وبعضها لا تمنع امتزاج هذه الاشياء التى لا تجمعها صفة موحدة ،

ساعتها يجب علينا ان نعتقد انه حتى لو كان هناك شئ ساماً او متوحشاً او اياً كان هذا الشئ فى طبيعته ، يجب علينا ان نعتقد انها جميعاً من نفس الفصيلة وتنتمى الى نفس النوع ، والشخص الذى يرى العنصر البشرى متمثلاً فى النباتات بالطبع هو شخص لا ينظر لنفسه انه ذات طبيعة خاصة متميزة ، وهو يرى ان العنب مثلاً الذى يزرع لتغذية الناس هو من نفس طبيعة البشر لانه نبات اصلاً .

وفوق هذا فان النباتات تمدنا بالحبوب التى تغذينا ، كيف يجرؤ هذا الشخص ان يحصد الحبوب او ان يعصر الاعنب او يكسر جذع شجرة او يقطف زهرة او ان يصيد الطيور او ان يوقد ناراً ، ان كان غير واضح لديه ان كان هكذا يؤذى اقاربه او اجداده او احد افراد قبيلته! وانه هكذا من خلال أجسادهم المحترقة يطهى طعامه او يتدفأ!

إن هذا الشخص الذى يعتقد ان نفس الانسان تصير بعد ذلك فى نبات او حيوان نحن نقول له انه ليس هناك اثبات يؤكد ان النبات او الحيوان كان اصلاً انسان ولو افترضنا ذلك معهم فإن الإنسان سوف يميل نحو كل هذه الاشياء ، فحتما سوف يتصرف حيالها بأحد طريقتين ، الطريقة الأولى ان يكون سلوكه نحوهم فظاً اى نحو البشر الذى يسكن فى طبيعة الحيوان والنبات او يكون متعاطفاً معهم كما مع نفسه تماماً لدرجة ان يتخذ نفس سلوكهم الحيوانى حتى لو صار ثعباناً او حيواناً برياً ، ولو طبق نظريته هذه على الاخشاب فسوف يعتقد بان الاشجار ما هى الا سلالة بشرية

فاى نوع من الحياة سوف يحياها هذا الشخص؟ الذى يتعاطف مع جميع الاشياء على أنها من نفس طبيعته او الذى يتشاجر مع كل شئ حتى مع الاشخاص الاخرين

من حيث انها من نفس طبيعة الاشياء الجامدة؟

بالتأكيد هذه النظرية سوف ترفض بسبب كل ما قلناه ولاسباب اخرى كثيرة ومنطقية كلها ترفض هذا الافتراض .

وقد سمعت من هؤلاء الذين يؤمنون بهذه الاراء ان هناك نفوس معينة يفترضون وجودها فى حالة خاصة قبل أن تأتى وتسكن فى الأجسام .

فهذه النفوس تأخذ دورتها سريعاً طبقاً لحركة الكون نتيجة لشفافيتها ولكن بسبب بعض الميول نحو الشر فإنها تدخل فى الأجساد ، أولا تدخل النفس فى الاجساد البشرية ثم نتيجة اتحادها بالانفعالات الغير عاقلة فانها تخرج من جسد الانسان وتتحول الى حياة النباتات والاشياء العديمة الحس وهكذا يتحول الشئ الخفيف المتحرك الذى هو النفس الى شئ ثقيل يتحرك لاسفل فتسكن الجسم البشرى وبسبب الشر تفقد قوتها العاقلة فانها تنتقل الى االكائنات الغير عاقلة ثم عندما تفقد نعمة الاحساس فإنها تنحدر الى الاشياء التى لا تحس مثل النبات ولكنها بعد هذا تصعد مرة اخرى بنفس الدرجات لتستعيد مكانتها الأولى .

حتى هؤلاء الذين برعوا الى حد ما فى تقييم تلك الاراء رفضوا هذا الافتراض ، فلو كانت النفس تنحدر لاسفل بسبب الشر فتسقط من الحياة السماوية الى الحياة المادية ثم بسبب القداسة تسمو مرة اخرى الى السماء فهنا تعجز هذه النظرية عن ان ترينا اى نوع مفضل عن الاخر ، الحياة المادية ام الحياة السماوية ، فهناك دورة معينة تدور فى نفس المراحل ، والنفس ـ مهما كانت طبيعتها ـ دائماً غير مستقرة وغير ثابتة .

فلو انحدرت النفس من الوجود العقلانى الى الوجود الغير عقلانى ومنه انحدرت الى الوجود اللاحسى ومنه تسمو ثانية الى الوجود العقلانى .

فإن هذا كله ما هو الا التباس غير واضح المعالم بين الخير والشر عند هؤلاء الذين يؤيدون تلك النظرية .

فان الاقامة المؤقتة للنفس فى السماء المباركة سوف لا تدوم لان الشيطان يعمل فى هؤلاء الساكنين هناك ، ولا المادة سوف تنفصل عن القداسة اذا اعتقدوا ان النفس سوف

تعود ثانية للبر ومنه تبدأ مرة اخرى مع الشيطان وهكذا .

فالنفس التى تحلق فى السماء لو اتحدت بالشيطان فانها تنحدر بسببه الى الحياة المادية ثم تعود فتنطلق من الحياة المادية لتقيم فترة قصيرة فى السماء مرة اخرى ، اذاً فهذا كله يثبت ان الحياة المادية مرتبطة دائماً بالشيطان .

وان الحياة السماوية هى البداية ، وان النفس فى البداية يكون لها أجنحة تحلق بها فى السماء ثم تفقد النفس هذه الاجنحة نتيجة إتحادها بالشر فتسقط من السماء وتصبح مرتبطة بالارض وتصبح مثقلة بالماديات وسخافة هذه النظرية ترجع لتضارب الاراء فيها ، فاحياناً كثيرة لا يثبت هؤلاء المؤمنون بها على ايمانهم هذا ، فهم انفسهم احياناً يتخلون عن نظريتهم هذه ، فإن كانوا يؤمنون بان الاشياء السماوية لا يعتريها تغيير فكيف اذاً يلحقها الفساد؟ وان كانت طبيعة الاشياء التى تحتها (اى تحت السماء) هى طبيعة متغيرة فكيف اذاً جعلوها تفقد حالة الاستقرار المعتادة فيها؟

انهم يخلطون الاشياء الغير قابلة للخلط ويوحدوا نظرتهم للاشياء التى تختلف من حيث طبيعتها ، فقد جعلوا الذى لا يتغير فى حالة اضطراب والذى هو مضطرب بطبعه وغير ثابت جعلوه لا يتغير .

فقد جعلوا النفس تهبط من السماء بسبب الشيطان والشر ثم اعادوها مرة اخرى الى الحياة الآمنة الغير مائتة فى السماء كما لو كانوا قد نسوا ان النفس التى تثقلت بالشر قد اختلطت بالطبيعة المادية بالفعل وفى هذه الحالة فإن صفات وطبيعة الحياة السماوية لن تعد تناسبها مرة ثانية ، فقد مزجوا والتبسوا بين طبيعة الحياة هنا على الارض وطبيعة الحياة السماوية فى شفافيتها فيجب ان نستبعد كل خلط او رأى خاطئ لننقى عقيدتنا الراسخة ، وفوق هذا ـ دعنا نتبعهم ـ هؤلاء الذين حادوا عن الحق بقولهم ان النفوس تنتقل من أجسام الاناث الى حياة الرجال او قولهم بان نفوس الرجال تسكن بعد ذلك فى الاناث او قولهم بان النفس تنتقل من جسم رجل الى جسم رجل اخر او تنتقل من جسم امرأة الى جسم امرأة اخرى .

فان هذه الفكرة مرفوضة تماماً ليس فقط لانها متناقضة وجامدة وخاطئة ولكن ايضاً لانها غير مقبولة انهم يتمسكون بان لا شئ يأتى الى الوجود بدون الشئ الموجود فى

الطبيعة منذ البدء .

ثم يضيفون ان لا البشر ولا الحيوانات ولدت الا وهبطت النفس اليها من العلو ، ولكن هبوط النفس يحدث بسبب الشيطان اذاً فقد جعلوا الشيطان مصدراً لكل شئ .

فكيف يمكن ان يحدث هذا فى نفس الوقت الذى ولد فيه الانسان من زواج رجل وامرأة؟ مع ان سقوط النفس من السماء سوف يكون بسببه شهوة خارج محيط الزواج؟

وحتى هذا يبدو غير منطقى تماماً ، فلو فرضنا ان هناك مجموعة من الحيوانات الغير عاقلة تلاقت معاً عند نبع ماء فإنه تلقائياً سوف تسقط النفوس التى امتلأت بالشر من السماء ، وبجد هذه الحيوانات وقد امتلأت ارحامها بسبب حبلها ، فماذا عسانا نقول عن الفلاح الذى يزرع البراعم فى أرضه؟ هل هذا الفلاح سوف تدفن يداه النفس مع البذور لان النفس سوف تفقد أجنحتها نتيجة جهد الفلاح فى الزراعة؟

ولنفس السبب تبطل حجة الذين يعتقدون ان النفس لها علاقة بالعلاقة الجنسية للمتزوجين ، او بمعنى اخر ان النفس تترقب ولادة الاطفال لكى تدخل فى اجسامهم ، فلو نسى الرجل الزواج وتحررت المرأة من حاجتها لانجاب اطفال ، هل هذا كله سوف يمنع الشيطان من ان ثقل النفس؟ اذاً فهو الزواج الذى يعطى الشيطان فى العلو سيطرته على النفس ـ هكذا يزعمون ـ او بالاحرى حتى لو لم يكن هناك زواج هل لا يتحكم الشيطان فى النفس؟

ففى هذه الحالة ستكون النفس بلا مأوى تسبح داخله فى الفراغ المحيط بنا وقد انحدرت من السماء لم تجد جسماً يتلقاها داخله .

اذاً كيف يمكن أن يعتقدوا ان هناك قانون روحى يحكم الخليقة ان كانوا يؤمنون بان بداية الحياة البشرية كانت نتيجة سقوط النفس من الحياة العاقلة؟

فحتماً ما حدث فى البداية سوف يسرى على ما بعده ، فلو كانت الحياة تبدأ بتوافق تلقائى فان استمرارها سوف يكون مسألة حظ .

وعبثاً يفعل هؤلاء الناس عندما يؤمنون بأن الأشياء التى فى العالم لم تولد بالمشيئة الالهية ، ولكنهم يرجعون بداية الاشياء لرغبة الشيطان على أساس انهم يدعون ان الحياة

البشرية لم تكن لتبدأ إن لم يعطيها الشيطان هذه البداية فلو ان الحياة تبدأ بهذه الطريقة ـ كقولهم ـ فإنها سوف تستمر بنفس الطريقة التى بدأت بها ، اى برغبة الشيطان باستمرارها ، ولا يستطيع اى انسان ان يقول ان الجمال ينبع من الشيطان او ان يقول ان القبح ينبع من الفضيلة .

فالفاكهة نراها ثمرة من نفس نوع البذرة التى انبتتها ، وعلى هذا فإن هذا الايقاع التلقائى للحياة كلها سوف يقودنا الى عدم الحيطة فى اسلوب حياتنا وهذا سوف يلغى التفكير المنطقى البناء لدينا ، وسوف لا نربح اى شئ من الفضائل بل وان نفكر اصلاً فى التحرر من الشر وسوف يخضع كل شئ للعشوائية والتلقائية وتكون الحياة اشبه بالسفن فى عرض البحر وليس لديها أحمال لتثقيلها .

فيتغير مسارها من الصواب للخطأ او من الخطأ للصواب تبعاً لاتجاه الامواج ، ولن يكون هناك فائدة مرجوة من حياة القداسة ان كانت الحياة نفسها بدأت بشئ مضاد للقداسة (اى بدأت بالشر) ولكن ان كان الله هو الذى يحدد معالم حياتنا فمن غير المقبول ان تكون الحياة بدأت بالشيطان .

فلو كنا ولدنا من خلال الشر فلسوف نحيا خلاله على طول الخط ، وتكون الدينونة او الثواب فى الحياة القادمة ليست ذات معنى لانه لن تكون هناك رغبة فى التحرر من الشيطان .

فإن كان الانسان قد ولد من الشيطان فكيف تكون لديه اى نزعة نحو الخير وحياة البر وهو بطبيعته ـ كما يدعون ـ قد أوجده الشيطان؟

تماماً كما لا تحاول الحيوانات الغير عاقلة ان تتكلم مثل الانسان بل هى تستخدم الاصوات التلقائية التى تصدر عنها بل ولم تشعر قط انها عاجزة عن التحدث ومحرومة من نعمة التكلم ، بنفس الطريقة ـ فان الذين كانت بدايتهم خلال الشيطان والشر هو سبب وجودهم ـ لن تكون لديهم رغبة لفعل الخير الذى سيكون وقتها شيئاً خارج نطاق طبيعتهم .

على اية حال فإن هؤلاء الذين تطهرت نفوسهم بالعقل والمنطق يكونون غيورين على حياة القداسة ، وعليه فمن الواضح ان عمر الشيطان ليس اطول من عمر الحياة نفسها

وان الطبيعة لم تتخذ لها نقطة بداية من خلاله (اى من خلال الشيطان) ولكن حكمة الله التى تحكم كل شئ هى بداية كل شئ فى حياتنا نفوسنا ولدت بطريقة ترضى الخالق وبعدها تختار النفس بكامل حريتها ما الذى تريد ان تكون عليه .

دعنا نفسر هذه النظرية من خلال نموذج آخر وهو العين التى بطبيعتها لديها القدرة على رؤية الاشياء ، ثم هى لا ترى الا بمحض اختيارها او بسبب المرض ، وفى بعض الاحيان يحدث الشئ الغير طبيعى بدلاً من الشئ الطبيعى ، فهناك الشخص الذى لا يريد ان يرى فيغمض عينيه او لا يستطيع ان يرى بسبب مرض اصابه ومنعه من الرؤية فمن الممكن ان نطبق هذا القول على النفس فنقول ان تركيبة النفس قد أوجدها الله ، ولانه لا وجود للشر داخل الخير والقداسة فان النفس لم تعرف الشر فى بدايتها ، وبمجرد ان تولد النفس فانها تقاد برغبتها البحتة لما يبدو صالحاً من وجهة نظرها ، فإما أن تغمض عينيها عن رؤية الاشياء الجميلة بارادتها او ان عيون النفس تؤذيها اغراءات العدو التى تملأ حياتنا فتعيش النفس فى ظلام حالك بسبب مرضها هذا ، او انها تشفى من هذا المرض الذى جعلها تعيش فى الظلام فتعود تنظر الحقيقة بعيون نقية مرة اخرى .

ولكن متى وكيف سوف يقول اى شخص ان النفس قد ولدت؟

البحث عن كيفية اتيان كل شئ الى الوجود يجب ان ننحيه جانباً من نقاشنا لانه ليس منطقياً ان نفسر كل ما نرى من خلال مداركنا التى تعتمد على الحواس وقد كان هذا هو نفس المفهوم لدى الانبياء والقديسين ، لانه كما يقول الرسول «بالايمان نفهم ان العالمين اتقنت بكلمة من الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر» (عب١ :٣) فإن الرسول لم يكن ليقول هذا ـ كما اعتقد ـ ان كان يستطيع ام يفهم ما يرى ويفسره من خلال المنطق ، وما يريد الرسول ان يجعلنا نؤمن به هو ان العالم نفسه بصرف النظر عن ان العالم يحتو على اشياء ترى واشياء لا ترى وكل ما فيه قد وجد بمشيئة القدوس .

اما كيف فسوف نتركها جانباً الآن لان هناك كثيراً من الصعوبات فى طريق هذا البحث حتى أننى اعتقد انه لا يوجد هناك اى شخص سوف ينجح فى بحث هذه النقطة لانه كيف يستطيع الذى يتحرك وله ابعاد وتركيب محدود ان يأتى بشئ غير محدود وغير محدد الابعاد؟ او ان يأتى شئ سام؟ اذاً لتضارب الاشياء فليس من المقبول ان يكون

مصدر الوجود هكذا .

ولكن ما هو المصدر البديل لبداية الاشياء؟ فان نظريتنا نحن لا تتقصى اى شئ خارج نطاق الطبيعة الالهية .

فان النظرية التى تقول بان هناك قواعد أولية مختلفة لكل شئ ، هذه النظرية سوف نشطرها الى نصفين لو كان كل شئ لابد من التفكير فيه بعيداً عن السبب الضالع الذى اتخذه الفلاسفة العظام لتفسير الخلق .

لان وقتها سيكون هناك سبب واحد لكل شئ فى الوجود ولكن ليس بنفس قوة فصيلة الطبيعة السامية التى أوجدت كل شئ .

فكلتا النظريتين سخيفتين بنفس المقدار ، تلك النظرة التى تقول ان الخليقة كلها انحدرت من الطبيعة الالهية وتلك النظرية التى تقول ان كل الاشياء انما صنعت من طبيعة اخرى مختلفة ، لانه لا الطبيعة الالهية يمكن ان تكون ضمن الصفات المميزة لكل ما يأتى الى الوجود من خليقة ويكون الله منتمياً لنفس جنسها ، ولا الطبيعة الاخرى ـ التى يفترضونها ـ التى تختلف من حيث مادتها عن الطبيعة الالهية يجب أن تحل محل الطبيعة الالهية كمصدر للخليقة كلها ، وهذه الطبيعة الاخرى سوف تكون مماثلة لله من حيث انها لم تولد فى بداية الحياة ، فان بعض الفلاسفة الاغريق (اليونانيين) يوافقون على هذه الافكار ويعتبرونها عقيدة لهم .

ولذا ولكى نتجنب سخافة هذه النظريات فسوف نتفق مع الرسول فى قوله انه يجب ان لا نتعرض لمناقشة «كيف اتى كل شئ الى الوجود؟» ولكننا فقط سوف نثبت ونحقق فى «متى ارادت مشيئة الله ان يأتى شئ الى الوجود فتتحقق ارادة الله» وبمجرد ان يحدث هذا فإن ارادة الله لا تنقض ابداً ما صنعته بحكمة ومهارة ، بل واكثر من هذا فإن المادة هى كنه الارادة .

ولان هناك نوعين من الوجود ، ذلك الذى من العقل وذاك الذى من الجسد ، فإن خلق الكائنات العاقلة لا يحول دون الطبيعة الغير مادية بل أنها لصيقة الصلة بها فهى تعانق وتوائم ما لا يرى وما لا يحس وكل ما ليس له ابعاد ولو ظن اى احد ان هذا يتعلق بالطبيعة الالهية فإنه لم يقع فى خطأ .

ولكن من ناحية اخرى فان الخليقة الغير عاقلة تنظر اليها وقد صنعت من صفات مميزة تختلف تماماً عن الطبيعة الالهية .

وهذا يربك عقلنا الذى لا يستطيع ان يفهم كيف يأتى ما يرى مما لا يرى او كيف يأتى الشئ الصلب وما لا يحس به ، والشئ المحدود وما لا حدود له ، وما يقاس مما لا قياس له ، وكل مادة توجد فى الطبيعة الجسدية ، بالنسبة لهذه النقطة فقط سوف نقول انه لا شئ مما ذكرناه (اى شئ مادى) يوجد بذاته لا الشكل ولا اللون ولا الوزن ولا الابعاد ولا الكمية ولا اى شئ يقع تحت عنوان «الصفات» ولكن هناك سبب لوجود كل من هذه الصفات ، وعندما تجتمع هذه الصفات وتتحد فإنها تنتج الجسد ، ولأن الصفات التى تكون الجسد ندركها بالعقل وليس بالحواس ولان العقل هى شئ روحى فكما هى المشكلة اذن بالنسبة للعقل لكي لا يدرك هذه الاشياء وإتحادها معاً لتكون طبيعتنا البشرية؟ ولكن دعنا نتفحص الاسئلة فى موضع أخر .

ولكن ما كنا نسأل عنه هو: إن لم تكن نفوسنا موجودة قبل اجسامنا فمتى وكيف جاءت الى الوجود؟ وقد ارشدنا الوحى الالهى بعدم امكانية عقولنا معرفة كيف اتينا الى الوجود ، اذاً بقى لنا ان نستوضح السؤال: متى بدأت النفس فى الوجود؟ فى ضوء استنتاجاتنا السابقة .

إن سلمنا بأن النفس فى بعض الاحوال توجد قبل الجسد فمن الضرورى اذاً ان نعتقد بأن هناك بعض الصلاحيات للسخافات العقيدية التى تنادى بان النفوس تدخل الاجساد بسبب الشيطان ، ولكن لا يوجد انسان عاقل يمكن ان يفترض ان ميلاد النفوس حدث بعد او قبل تكوين الاجساد انه من الواضح للجميع انه لا يوجد شئ قادر على الحركة بدون النفس اى من تلقاء ذاته ، بل اكثر من هذا لا يوجد شئ من الغموض او الجدال بشأن نمو او حركة الجنين الذى يتغذى داخل الرحم ، اذاً فيجب ان نخلص من كل هذا الى ان النفس والجسد لهما نفس البداية ، تماماً مثل الأرض التى تتلقى البذار من الفلاح وتنتج شجرة فإنها لا تعطيها القدرة على النمو ولكن فقط تعطيها إمكانية النمو ، وهكذا يمكن ان نقول ان ما يعطيه الانسان لينتج كائناً بشرياً هو فى حد ذاته شئ حى .

فالحيوانى ينتج من الحيوان ، والنباتى من النبات ، لو كانت دورة الحياة القصيرة

للبذرة لا تسمح لها بأن تقوم بكل أوجه نشاطها من حركة للنفس فإن هذه ليس مفاجأة فإن الحبوب فى البذار لا تصبح أذناً أو قرناً بمجرد ظهورها «وكيف هذا؟» ولكن عندما تمدها الارض بالغذاء المناسب فانها تصبح جذعاً به حبوب بدون اى تتغير طبيعتها وهى فى طمى الارض ثم تبدأ فى الظهور أعلى الارض وتتقوى بالطاقة التى تستخلصها من الغذاء .

وكما يحدث هذا مع البذار التى تنمو وتواصل نموها تدريجياً الى ان يكمل النبات يافعاً نضراً ، يحدث ايضاً مع الكائن البشرى ، فإن قوة النفس تظهر خارجياً طبقاً لحالة الجسد ، بادئ ذى بدء فإن النفس متواجدة مع الجنين الذى فى الرحم منذ بداية تكوينه وهى موجودة ايضاً خلال عملية تغذية الجنين ونموه ، ثم بعد هذا تبدأ النفس فى اعطاء صفة الادراك لكل المخلوقات التى تأتى للنور ، وعندئذ بعدما ينمو النبات فانها توضح اثر قوة العقل والمنطق فانها لا تدعه ينمو فى التو واللحظة ولكن كل خطوة تتم مع الاحتفاظ بالمراحل الطبيعية لنمو النبات وازدهاره .

ولان النتفة (الحيوانات المنوية) التى يضعها حيوان لتنتج حيواناً آخر لا يمكن ان تنتج شيئاً إن لم تكن حية ـ ولان الموت يعنى غياب النفس او عدم وجودها ، ولان العدم لا ينشئ حياة من ذاته ـ فاننا نخلص من كل هذا بانه هناك مدخل للوجود لكلا الجزئين اللذين يتكون منهما الكائن البشرى (اى النفس والجسد) لا يسبق جزء منهما الجزء الآخر ولا يتأخر جزء عن الآخر ، بل وفوق هذا فإن العقل بالضرورة يضع حداً لزيادة عدد النفوس بالموت ولهذا فان الطبيعة التى دائماً ما تعطى للحياة كائنات جديدة ولا تتوقف قط عن الحركة لا يمكن ان تظل فى انسيابها هذا للابد... حتما هناك نهاية لها بالموت .

اذاً منطقياً ان نفكر هكذا ان هذه الطبيعة التى لنا يجب ان تستقر على هذا المبدأ اذ ان الطبيعة العاقلة الحكيمة هى من متطلبات طبيعتنا فقط ، ومن المنطقى ان الجنس البشرى سوف ينتهى يوماً ما .

فليس غريباً على الطبيعة البشرية العاقلة ان لا تكون ممتدة ، بل هى منتهية حتماً ، والحقيقة المؤكدة ان الكائنات الجديدة التى تولد توضح ان الطبيعة تستهلك شيئاً فشيئاً ،

وهكذا عندما يصل الجنس البشرى لنقطة إكتمال متطلباته فإن إنسياب حركة الطبيعة سوف يتوقف بعد أن يصل الى نهايته الحتمية بالموت وتبدأ ظروف جديدة تظهر فى الحجياة تختلف عن البيئة الاولى التى كانت موجودة قبلاً ألا وهى الإتيان للوجود ثم الخروج من الحياة ، وعندما لا توجد ولادة سوف لا يكون هناك موت ايضاً بالضرورة .

فلو قلنا ان عملية التكوين او التصنيع هى التى تأتى بشئ الى الوجود وان التكوين يسبق التحلل ، فيكون واضحاً انه إن لم يوجد تكوين للشئ لن يكون هناك تحلل لهذا الشئ ك.

اذاً الحياة الاخرى بعد الموت هى حياة ثابتة ليس فيها تحلل وغير قابلة سواء بولادة او بأى نوع من الخلق .

اغريغوريوس: كما فسرت معلمتى هذا فانه يبدو لكل من يتابعنا ان الحديث وصل لنتيجة محددة وقاطعة ، ولكنى اخشى لو ازدادت عليها وطأة المرض الذى تعانى منه انه لن يكون هناك من يرد لنا على الاعتراضات التى يبديها هؤلاء الرافضون لعقيدة القيامة .

ولهذا قلت: إن مناقشتنا لم تتطرق بعد لاكثر النقاط حساسية فيما يتعلق بالعقيدة ، والوحى المقدس فى عهديه القديم والجديد يقول انه عندما تكمل طبيعتنا مراحلها الموضوعة لها سلفاً طبقاً للزمان المحدد لها فإن حركتها سوف تتوقف ، وعندما تصل زيادة المواليد الى نهايتها القصوى ولا تعد تحتمل المزيد فإن النفوس جميعها تعود الى مكانها ، الغير مرئى يعود لاصله وكذلك ايضاً كل ما يرى ونفس العناصر سوف تعود ثانية الى أصلها بنفس الترتيب ، وهذه الحالة او هذه الحياة هى ما نطلق عليه القيامة فى الكتاب المقدس (القيامة هى اللفظ الروحى لهذه الحياة كما وردت فى الكتاب المقدس) وتكون عودة العناصر لأصلها هكذا هو نهاية العالم .

ماكرينا: قالت: ما الذى نسينا أن نناقشه معاً فى حديثنا السابق؟

اغريغوريوس: أضفت: العقيدة المجردة الخاصة بالقيامة .

ماكرينا: قالت: إن كل ما قلناه سابقاً يشير الى هذه النقطة بطريقة غير مباشرة .

اغريغوريوس: اجبت: ألست متأكدة أننا سوف نقابل كماً هائلاً من الاعتراضات

على رجائنا بالقيامة؟ وفى نفس الوقت فقد حاولت أن أفند لها النظريات التى يسوقها معارضو عقيدتنا لكى ـ إن أمكنهم ـ يلخصوا عقيدة القيامة .

ماكرينا: قالت: إنى أرى أولاً أنه ينبغى لنا ان نتعرض أولاً وبإيجاز لما ذكر عن عقيدة القيامة فى الكتاب المقدس لكى نصنع خلاصة فى نهاية حديثنا عن القيامة .

فأولاً عندما صور لنا داود عملية خلق الكون فى المزمور الرابع بعد المائة ونسمعه يتغنى قائلاً «تنزع أرواحها فتموت والى ترابها تعود ، ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الارض» (مز١٠٤ :٢٩-٣٠) .

فهو هنا يقول ان قوة الروح النشيط فى كل شئ تعطى الحياة لكل من تدب فيه وتعود فتأخذ الحياة معها عندما تغادر ثانية .

ولانه يقول انه مع انطلاق الروح ليس هناك حياة وانه مع وجود الروح هناك إستعادة للحياة مرة اخرى ، ولانه طبقاً للمنطق والعقل الموت يسبق التجديد فإن داود فى حديثه عن هذه النعمة ، الموحى بها من الروح القدس ، ينبه الكنيسة الى سر التجسد ، وفى مواضع اخرى نجد نفس النبى (داود) يقول ان رب الكل رب الخليقة «قد اضاء علينا» لكى يشير الى «يوم مهوب يظلل علينا» وهو هنا بقوله «مظلة» يشير الى عيد المظال الذى يرجع تاريخه الى عصر موسى النبى حينما كان معطى الشريعة يحدد معالم المستقبل بالنبوة ـ فاعتقد انه بالرغم من انه دائماً ما يحدث ـ الا انه لم يحدث بعد كما ينبغى وقد تجلت الحقيقة بالرمز الذى حدث فى عيد المظال ، ولكن عيد المظال الحقيقى لم يحدث بعد ، لهذا السبب وطبقاً لقول النبى فإن إله ورب الجميع اضاء علينا ليرينا نحن البشر عيداً فيه تعود ثانية المظال التى إنحلت والمظال تعود باتحاد الجسد مرة اخرى .

وان لفظ «المظلة» السابق إنما يشير الى «وضع غطاء على الخلية المصاحبة له» وقول المزمور كالاتى «الرب هو الله أنار لنا أوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح» (مز١١٨ :٢٧) وهذا يبدو لى انه يعنى انه هناك عيد واحد لكل الخليقة العاقلة وفيه يكون السفلى والعلوى كورس فى معزوفة الخير ، وقديماً فى المعبد الرمزى لم يكن يسمح لاى شخص ان يتواجد فى الرواق الخارجى ولكنهم كانوا يمنعون الأمميين والاجنب من الدخول ، ومن بين الذين يدخلون ليس الجميع مسموح لهم بالدخول

اكثر من هذا الا اذا تطهروا بالغسل او خلافه وعاشوا حياة نقية .

وايضاً لم يكن الجزء الداخلى من المعبد متاحاً لهم جميعاً «لمن تطهروا» بل كان مخصصاً للكهنة فقط لكى يدخلوه طبقاً للطقوس .

ثم الجزء الداخلى المخفى حيث يوجد المذبح فإنه مزين بقرون والكهنة أنفسهم لا يستطيعون أن يدخلوه إلا واحد وهو رئيس الكهنة الذى يدخله مرة واحدة فى السنة فى الوقت المحدد لكى يقدم ذباذح المغفرة .

اذ كانت تلك الاحتياطات والحدود توضع لهذا المعبد الذى يعد صورة او نموذج ورمز يراه العقل فإننا نلاحظ ونتعلم أنه ليس كل الطبيعة العاقلة تقترب من معبد الله ، الذى هو الإله العظيم ، ولكن هؤلاء الذين أخطأوا بسبب معتقداتهم الخاطئة سوف يكونون خارج الحضرة الالهية .

ومن بين الموجودين فى حضرة الله القدوس الذين يدينون بمذهبه هناك من هم أوفر كرامة ـ الذين تطهروا طول الوقت بالغسل (المعمودية والاسرار المقدسة) وهؤلاء الذين كرسوا أنفسهم ببراعة الى حد انهم يستحقون معاينة ما اخفاه الله لاحبائه .

وفى تفسير هذا الرمز نتعلم ان الوحى الالهى يشير الى أن الناس تدخل فى منازل متعددة ، فمنهم من يدخل المذبح الى الداخل بالقرب من الله فى الداخل ومنهم من يقف فى الخارج بجانب قرون المذبح ومنهم من يقف خلفهم (اى خلف قرون المذبح) بصف او صفين طبقاً لنظام معين وطقس محدد ، وبسبب وجود الشر فى الجنس البشرى فإنه لا يستطيع التقرب الى الله مباشرة بل لابد له من أن يتنقى اولاً ثم يمثل أمام الله ، ولكن هذا كله قد تغير وزالت العقبات التى كانت تمنع مثول الانسان داخل أقداس المجد ، وقد زالت هذه العقبات خلال استعادة طبيعتنا لاصلها النقى وذلك من خلال القيامة ، وهكذا تزال كل العثرات التى وضعها الشيطان فى طريقنا خلال حياتنا ويكون عيداً حقيقياً عاماً حول الله حيث يحوطه هؤلاء الذين غسلوا ثيابهم ولبسوا حلة نقية خلال القيامة وسوف تكون هناك متعة واحدة يتمتع بها الجميع ، ولن تكون هناك مراحل مختلفة ودرجات للطبيعة العاقلة لأن هؤلاء الذين استعبدوا بسبب الشر سوف يكونون بعد القيامة محوطين بالبركات الالهية وسوف يكون المذبح بقرونه متحدين

بالكائنات السماوية المختارة .

هذا بالتحديد ما أورده الرسول بطريقة مباشرة حينما ربط كل شئ بالله فى قوله «كل ركبة سوف تجثو له من فى السماوات ومن على الأرض ومن تحت الارض وكل لسان سوف ينطق بأن الرب يسوع المسيح هو مجد الله الآب» (فى٢:١٠-١١) .

وبدلاً من القرون فى القديم يتحدث عن الكائنات الملائكية النورانية وبعبارة اخرى يتحدث عن هؤلاء الذين خلقوا بعدهم (اى نحن) ويقول أنه سيكون هناك عيد يجمع الكل ، وما هذا العيد إلا التسبيح وادراك الإيمان الحقيقى .

ثم قالت **ماكرينا**: ومن الممكن أن نجمع من الكتاب المقدس نصوصاً أخرى كثيرة تؤكد عقيدة القيامة .

فحزقيال (حز٣٧:١) بروح النبوة كان شاخصاً دائماً الى السماء وادرك بعظمته الروحية اللحظة التى تتم فيها القيامة ورأها بعين المستقبل كما لو كان يحيا فيها ، وقد أتى بها أمامنا فى نبواته ، فقد رأى خلاءً واسعاً جداً لا حدود له وقد انتشرت على أرضه عظام أموات كثيرة جداً ، وقد حلت عليها قوة الرب فتجمعت هذه العظام بعضها الى بعض مكونة مفاصل معاً وقد اكتست بالاعصاب واللحم ثم بالجلد ، وهذا ما اطلق عليه داود فى المزمور «المظلة» كما ذكرنا سابقاً ، ثم حلت عليهم روح منحتهم الحياة فقاموا جميعاً .

ولماذا نبتعد وأمامنا أقوال الرسول التى تذكر معجزات القيامة ، وهى فى متناول يد كل من يقرأها ؟

يخبرنا الكتاب المقدس كيف أنه بعد سماع البوق فى الوقت المحدد سوف يتحول جميع الاموات والذين فى القبور الى طبيعة اخرى غير مائتة (١كو١٥:٥٢) ولكننا سوف نتخطى هذه الايات لأنها معروفة لدى الجميع .

وليس بالكلام فقط قال الرب أن الأموات سوف يقومون بل الرب نفسه وضع لنا نماذج للقيامة خلال أناس من بيننا ومثلنا ، فأولاً قد أظهر الله قوته المانحة للحياة فى حالة الامراض المستعصية حيث طرد المرض بأمر منه وبكلمة منه (مت٨:٢-٣) ثم أقام

ابنه يايرس بعد موتها مباشرة (مت٩: ١٨-٢٥) ثم أعاد غلاماً لامه كان محمولاً فى نعشه سائرين به نحو القبر فأقامه من نعشه (لو٧: ١١-١٥) ثم بعد هذا أقام لعازر من الموت وكان له فى القبر أربعة أيام ، ورغم هذا أقامه بكلمته وأمره (يو٨: ١٧-٤٤) وبل أقام جسده هو من الاموات بعد ثلاثة ايام وجعله صحيحاً وأعاد اليه حتى الاظافر متضمناً الطعنة التى فى جنبه كما ذكر فى قيامة الرب (يو٢٠: ٢٧) .

اعتقد انه ليس من الضرورى أن نخوض أكثر فى هذه الايات لانه ليس هناك شك فى هذا الكلام لدى الذين ورثوا الايمان بما هو مكتوب .

اغريغوريوس: قلت: ولكن ليس هذا هو ما نبحث عنه لان كثير من مستمعينا سوف يتفقون مع براهين الكتاب المقدس ومع حديثنا السابق انه سوف تكون هناك قيامة وان الانسان سوف تكون له دينونة .

ولكن يتبقى لدينا ان نبحث اذا كان ما نرجوه له علاقة بوجودنا الراهين ، لانه ان كانت اجسادنا البشرية تعود الى الحياة ثانية بنفس الحالة التى ماتت عليها (اى كانت عليها قبل الموت) فسوف يتطلع الانسان الى القيامة على أنها كارثة ليس لها نهاية ، وما يحز فى النفس أكثر أن الجسد ينهدم وتغير فيه الشيخوخة كثيراً ، فالعضلات تذبل مع الوقت ، والجلد يصبح جافاً ومترهلاً ومشدوداً على العظام نتيجة إختفاء الرطوبة الطبيعية فيه ، والاعصاب تنقبض فيصبح الجسم كله دميماً ليس ذات منظر ، وتتدلى الرأس على الجذع وترتعش اليدان بغير إرادة منا ولا تعد تستطيع القيام بوظائفها المعتادة ، كما أن الاجساد قد تترهل نتيجة للامراض المزمنة التى قد تصيبها فلا يعد هناك فرق بينها وبين الهيكل العظمى الا ان هذه الاجسام تكون مكسية بطبقة رقيقة من الجلد المترهل .

وهناك من يبتلعهم مرض الاستسقاء وهناك من اصيبوا بالصرع فأعياهم المرض ، فاى كلمة يمكن أن تصف هذا المنظر الصعب الذى تراه العين فقى التحول وتعفن الجسد الذى يأتى على الاعضاء والحواس جميعاً فلا يتبقى منها شئ؟

وهؤلاء الذين صاروا ضحايا للزلزال او الحروب او لاى سبب اخر فيعيشون بعض الوقت معافين ثم يتوفون وهؤلاء الذين يولودن بعاهات مختلفة ، ماذا عسانا أن نقول بشأنهم؟ وما عسانا نقول عن الرضع الذين يتعرضون للاختناق؟ فهل لو عادوا للحياة مرة

اخرى (بعد القيامة) سوف يكون لهم نفس الجسم الرضيع؟ او هل يعودون الى الحياة فى جسم متوسط العمر؟ وبأى نوع من اللبن سوف تغذيهم الطبيعة؟

وفى كل الاحوال لو أننا عدنا للحياة (بعد القيامة) بنفس الجسم الذى كان لنا قبل الموت فأى كارثة هذه بعد كل ما ذكرناه .

ولكن إن كنا لا نقوم بنفس الجسم القديم ألا يكون الشخص الذى قام مختلفاً عن ذاك الذى رقد وله جسم آخر مختلف عن الأول؟

لانه ان مات طفل ثم قام من الاموات فى جسم رجل او لو حدث العكس فمات رجل وقام من الاموات فى جسم طفل فكيف لنا ان نقول ان الذى رقد هو الذى قام بعد ان يكون الشخص الذى مات قد تغيرت هيأته وسنه بعد القيامة؟ او اى شخص سوف يرى الرجل الذى قام بدلاً من الطفل الذى قد مات ، او يرى غلاماً قام من الاموات وقد كان رجلاً قبل الموت سوف يرى شخصاً حل محل شخص آخر ، شخص صحيح بدلاً من شخص معوق مثلاً ، او شخص ممتلئ بدلاً من شخص نحيل... الى اخره من الامثلة ، فإن لم يعد الجسم للحياة مرة اخرى عند القاياة بنفس الحالة التى كان عليها قبل ان يختلط بالتراب بعد الموت ـ فلن يقوم الشخص من الاموات بل ان التراب يكون قد اعاد تشكيله الى شخص اخر ، فماذا يعنى ان نرى انساناً آخر قام من الاموات وليس هو نفس الذى مات؟ كيف اتأكد انى انا إن لم ارى نفسى فى نفس المنظر الذى كان لى؟ لانى لن اكون انا هو بالحقيقة إن لم أكن مشابهاً تماماً لنفسى فى أدق التفاصيل.

تماماً كما فى حياتنا الحاضرة ، فلو حضرت لى صورة شخص ما ولنفرض ـ لكى نقرب التصور اكثر ـ انه كان ملتحياً وذو شفاه بارزة وأنف دقيق وبشرته فاتحة اللون وله عيون رمادية وله شعر ابيض وجسد مترهل ، فلو نظرنا الى هذا الشخص مثلاً فوجدته شاباً له شعر طويل وأنف كبير وبشرة داكنة وكل معالم جسمه مختلفة عما كانت عليه

فعندما انظر اليه هل سوف اصدق اننى امام الشخص الذى كنت اعرفه انفاً؟ بل لماذا نضيع كل هذا الوقت فى هذه الاعتراضات البسيطة ونهمل الاعتراضات الاخرى ذات القيمة؟ فمن منا لا يعرف ان الطبيعة البشرية هى مثل التيار الذى يتحرك من الولادة الى

الموت وانها تتوقف عن الحركة عندما تتوقف عن الوجود (اى ينتهى وجودها) ؟

بيد ان هذه الحركة ليست هى استبدال للمكان بمكان آخر إذ أن الطبيعة لم تعد هى نفسها بل يعتريها تغيير .

ولكن هذا التغيير مهما طال زمانه لا يظل كما هو اذ كيف يبقى الشئ الذى تغير كما هو؟ تماماً مثل النار فى المصباح (القنديل) تبدو دائماً أنها كما هى لأن الحركة الدائمة فيها تجعلها دائماً متصلة ببعضها ولكن فى الحقيقة هى متغيرة دائماً ولا تبقى كما هى ابداً فتكون ناراً ثم تتحول الى دخان ودائماً ما تتجدد حركة اللهب بقوة التغيير التى تحول النار السفلية الى دخان يعلوها فلهذا ليس ممكناً لاى شخص يكون قد لمس اللهب ان يلمسه مرة اخرى فى نفس النقطة لان التغير يحدث بسرعة كبيرة حتى انه لا ينتظر الى اللمسة الاخرى حتى لو تم اللمس بأقصى سرعة يستطعيها الانسان ، فاللهب دائماً متجدد وحديث ثم يذهب ويمضى ولا يبقى كما هو ابداً .

وهناك عملية مشابهة تماماً تحدث مع طبيعة أجسادنا ، وهو أنه هناك جزء من طبيعتنا يتدفق للداخل والخارج ودائماً-ما يكون فى حركة دائبة ، وبتوقف حركة هذا الجزء تتوقف حركة التغيير فى حياتنا ، وطالما أن الحياة مستمرة فهذا الجزء من طبيعتنا لا يتوقف ابداً لانه اما فى زيادة او نقصان او ينتقل من حالة لاخرى ، فلو ان شخصاً اصبح يختلف عما كان عليه بالامس بل اصبح شخص اخر من خلال عملية التغيير هذه فكيف عندما تعيد القيامة اجسادنا الى الحياة ـ تكون صورة الشخص الذى يعاد الى الحياة أهى صورة الجنين او الرضيع او الطفل او البالغ او الرجل او الاب او الكهل حيث يكون الشخص قد مر بكل هذه المراحل خلال حياته على الأرض؟

وقد اختبرنا جيمعاً تأثير المرارة والالم على لحمنا ، فبعض الناس ـ احياناً بسبب الورع ـ يتألمون فى صمت اذا حك جلدهم شئ مؤلم ـ ولكن فى أحيان أخرى يكون رد الفعل أعنف فيسحبون جسمهم سريعاً بعيداً عن مصدر الالم ولكن التصرف فى الحالتين يكون راجعاً الى الاحساس الذى يتميز به الجسم فكيف يكون هناك عدل خلال الحكم؟ لان الشخص الذى يخطئ يعود فيتطهر بالتوبة واحياناً يحدث ان هذا الشخص يعود للخطية مرة اخرى ، فتتناوب جسده حالة من الطهارة ثم حالة من عدم النقاوة ولا

يكون على حال واحد بصفة مستديمة ، فاى جسد منهما سوف يُدان فى القيامة؟ هل يعاقب الجسد الذى كان له فى وقت الشيخوخة وقبل الموت مباشرة؟ ولكن هذا الجسد ليس هو الذى اقترف الخطايا بل جسد شبابه ، ام يعاقب الجسد الذى أخطأ؟ ولكن إن عوقب الجسد الذى اقترف الخطايا فاين يذهب جسد الشيخوخة؟ اما ان جسد الشيخوخة هذا لا يقوم من الاموات واما انه يقوم من الاموات ويعاقب وفى هذه الحالة يفلت الجسد الذى اقترف الخطية من العقاب .

هل اعترض ايضاً اعتراضاً آخر على القيامة يسوقه هؤلاء الذين يختلفون معنا حول وجهة نظرنا؟ انهم يقولون انه لا يوجد جزء فى جسدنا بدونه تتوقف الوظائف الحيوية التى يؤديها الجسد .

هناك اجزاء تمنح الحياة وتمنح القوة فى حياة الجسد وبدونها لا تستمر حياة الجسد مثل القلب والكبد والمخ والرئتين والمعدة وبقية الاعضاء الداخلية لجسم الانسان والبعض الآخر يتعلق بالحركات الحسية والبعض الآخر بالحركة .

فإن كانت حياتنا تتكون من نفس الشئ فان التغيير سوف يسفر عن لا شئ ، فلو كان صحيحاً ـ كما هو مؤكد ـ انه لا زواج فى الحياة الاخرى بعد القيامة وان حياتنا لن تعود تعتمد على الطعام والشراب ، فما فائدة اعضاء الجسم المختلفة وقتها؟ إذ أنا لا نتوقع ان تقوم هذه الاعضاء بنفس الوظائف التى كانت تؤديها فى الجسم قبل الموت ، اذاً ما الهدف من وجود الاعضاء فى الجسد بعد القيامة؟ لانه ان كان هناك زواج على الارض وهناك بعض الاعضاء الضرورية لهذا الزواج ولكن فى الحياة الاخرى بعد القيامة سوف لا تكون هناك حاجة لهذه الاعضاء اذ انه لن يكون هناك زواج اصلاً .

ولن تكون هناك حاجة لليدين لكى تعمل ولا للقدمين لكى تجرى ولا للأسنان لكى نأكل بها ونمضغ الطعام لانه لن يكون هناك طعام ، ولا للاعضاء الداخلية للهضم ولا للامعاء للامتصاص .

فعندما تختفى كل هذه الانشطة ، كيف ولماذا توجد الاعضاء التى جاءت للوجود من اجل القيام بهذه الانشطة؟

والحياة الاخرى تتكون من اشياء اخرى مختلفة ـ ولن نقول ان هناك قيامة ان لم

تقم هذه الاعضاء مع بقية الجسد نتيجة عدم الاحتياج اليها فى الحياة الاخرى .

ومن ناحية اخرى لو حدثت قيامة كاملة فسوف تقوم كل أجزاء الجسم بما فيها من أعضاء لم يعد الانسان بحاجة اليها فى الحياة الابدية.

على اية حال لابد من الايمان بان هناك قيامة وانها ليست باطلة ، حينئذ يجب ان نوجه اهتمامنا نحو التحقق من كل تفاصيل هذه العقيدة بالعقل والمنطق .

ماكرينا: اما وقد عدد القديس اغريغوريوس هذه النظريات قالت معلمتى: لقد حاولت ان المس عقيدة القيامة بهذه التى يطلق عليها «البلاغة» لقد بترت الحقيقة بهذه النظريات الهدامة التى سقتها لدرجة ان الشخص الذى لم يختبر الايمان بهذه العقيدة (القيامة) سوف يشعر ان الاعتراضات التى قلتها هذه هى منطقية وان الشكوك التى حول القيامة عادلة ، ولكن ليست هذه هى الحقيقة حتى لو لم نكن قادرين على مجاراة هذه البلاغة فى القول ، فالدليل الحقيقى على هذه الامور محفوظ فى كنوز الحكمة المخفية وسوف لا تظهر على السطح الا اذا اختبرنا بأنفسنا عقيدة القيامة ، وقتها لن تكون هناك حاجة للفصاحة اللغوية لكى نعبر عن ما نرجوه ، ولكن بالنسبة لهؤلاء الذين فى المساء ينكرون نور الشمس فما هو الدليل الدامغ الذى يساق لهم سوى الانتظار حتى الصباح لكى يروا بأنفسهم شعاع الشمس القوى الذى لن يدع هناك حاجة لاى تفسير بالكلمات .

لذلك فان اى تليسكوب ننظر به الى المستقبل لن تكون هناك حاجة اليه لو اختبرنا وعشنا ما نتوقعه فى المستقبل .

ولكن لاننا لا ينبغى ان نترك اى اعتراض يسوقه من يخالفوننا فدعنا نستمر فى مناقشة هذه النقاط .

بادئ ذى بدء يجب ان نعود لتعريف عقيدة القيامة ولماذا يجب ان نتكلم عنها بلسان مقدس مؤمن بها ، فالتعريف الذى ندركه عن القيامة «إستعادة طبيعتنا لحالتها الأولى» .

ففى البداية الأولى للحياة التى خلقها الله لم تكن هناك شيخوخة وطبعاً لم يكن هناك أطفال رضع ولم يكن هناك مرض ولا اى من الاشياء التى تعوق الجسد .

لانه ليس معقولاً ان يخلق الله مثل هذه الاشياء وكانت الطبيعة البشرية مقدسة قبل

ان ينحدر الانسان نحو الشر ، فاصابتنا كل هذه الامراض مع معرفتنا بالشر ، واصبحنا لا نريد العيش بدون الشر ، تماماً مثل الشخص الذى تلمع بشرته لو عاش فى جو بارد او تصبح بشرته داكنة اذا ما تعرض لحرارة الشمس ولكن إن لم يتعرض لاى من هذا فلن تصبح بشرته لامعة او داكنة ، ولن يسأل أحد لماذا يحدث هذا الشئ طالما انه لا يوجد سبب لحدوث هذا الشئ .

وهكذا طبيعتنا بمجرد ان انزلقت الى مرض الخطية عانت بالضرورة من توابع الخطية ، ولكنها عندما تعود مباركة غير مريضة فصوف لا تتأثر بتوابع الشر مرة ثانية ، وبالتالى مهما اختلطت الحياة غير العاقلة (الحيوانية) مع طبيعتنا البشرية والتى لم تكن فينا قبل سقوط الجنس البشرى فى الخطية ، فعندما نترك الخطية وراءنا فبالضرورة سوف نترك معها كل ما يتبعها ، ولن يرجع اى انسان الى تلك الحياة التى أتتنا نتيجة الشر .

تماماً مثل شخص يرتدى لباساً ممزقاً ولكنه تركه ولم يعد يرتديه ولم يعد يتألم مما كان يقترفه سابقاً ، وهكذا نحن سوف نخلع عنا الثوب الممزق المخزى الذى اكتسبناه من صنع الشر والمصنوع من جلد الحيوانات التى تشبهنا بها ، وانا هنا اطلقت كلمة «جلد» واعنى بها الطبيعة الحيوانبية التى اتشحنا بها وارتديناها عندما ارتبطنا بالخطية .

ومن ضمن هذه الاشياء اللقاء الجنسى والحمل والولادة ورعاية وتغذية الاطفال والتغذية وعملية النمو نفسها الى مرحلة الشباب ثم مرحلة الشيخوخة والمرض والموت اخيراً .

فإن خلعنا عنا هذا الرداء الحيوانى فلن تظل عالقة بنا هذه الاشياء التى تلتصق بهذا الرداء بل سوف تزول عنا .

ولأننا نرجو وننتظر نوعاً آخر من الحياة فى الابدية تختلف عن حياتنا الحاضرة ، فكيف لنا ان نقرن فكرة القيامة باراء اخرى ليس لها علاقة بها مثل كون الجسد بديناً أو نحيلاً أو عليلاً او صحيحاً او اى شئ اخر برتبط بالطبيعة المتغيرة التى لاجسامنا حالياً ، فما عسى ان نربط بين هذه الطبيعة المتغيرة وما كنا عليه سابقاً فى السماء من طبيعة مقدسة مختلفة تماماً عن الطبيعة الحالية بما فيها من تغيرات مستمرة؟

فمنطق القيامة يتطلب شيئاً واحداً وهو ان انساناً يأتى الى الوجود من خلال الميلاد او

كما قال الرسول «قد جاء انسان الى العالم» (يو١٦ :٢١) بصرف النظر عن عمر هذا الانسان او كيف قضى حياته او كيفية موته اياً كانت ، كل هذا ليس له اى علاقة بفكرة القيامة .

ووجود اختلاف فى هذه الاشياء لن يخدم او يعوق عملية القيامة ، فما دام الانسان بدأ حياته فعليه ان يستمر فى الحياة وهذا شئ ليس بارادته وطالما تحلل جسم الانسان فى الوقت المعين لموته فان جسمه سوف يعود مرة اخرى بالقيامة .

ولكن كيف او لماذا كان تحلله فكل هذا ليس له علاقة بالقيامة ذاتها ، وهناك شئ آخر إن كان الانسان قد عاش حياة مرفهة ام مؤلمة او عاش حياة مقدسة او غير مقدسة او كان مستحقاً الثناء او اللوم او صنع لحياته المسرة ام الرثاء ، فإن هذا كله يتوقف على عمر هذا الانسان وعلى نوع الحياة التى عاشها على الارض .

فلكى نحكم بحياد على هؤلاء الذين يحيون فى عالمنا هذا يجب ان نتقصى عن خبرات هذا الانسان من حيث الاحتقار الذى عاناه او المرض الذى ألم به او شيخوخته او شبابه او صباه او ثروته او فقره وكيف يستطيع اى شخص ان يتكيف مع ظروف الحياة التى يحياها .

بصرف النظر ان كان تلقى فيها المميزات او الشرور خلال حياة عريضة او خلال حياة قصيرة لم يبلغ فيها النضج وتوقفت عند هذا الحد .

على اية حال عندما يعيد الله ـ من خلال القيامة ـ للانسان طبيعته الاولى سيكون من الهراء ان نتكلم فى مثل هذه المواضيع بل سوف نستعيد هدفنا الاول وهو التسبيح بحكمة الله وقدرته .

وبالنسبة له فالهدف الوحيد هو إصلاح الكون كله من خلال كل انسان على حدة واشباع متطلبات طبيعتنا .

فالبعض منا يتنقى من الشر خلال حياته على الارض والبعض الاخر يعاقب على الشر خلال نار جهنم فى الحياة الاخرى ، وقد وضع الله داخل كل انسان نزعة نحو الخير ، وهى التى قال عنها الرسول «ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان»

(١ كو٢ :٩) وفى رأيى ان هذا ليس الا الوجود فى الله نفسه ، لان الخير الذى يفوق السمع والنظر وتصور القلب سيكون هى الشئ الذى المميز جداً الذى هو أسمى من الكون كله .

ودرجات القداسة المختلفة او عدم القداسة فى حياتنا هى التى تحدد اشتياقنا السريع او البطئ نحو الحياة المباركة التى ننتظرها ونرجوها .

ومدى شفاء الانسان يعتمد على كمية الشر الحالة داخله ، وشفاء النفس هو النقاوة من الشر ولن نصل الى هذا بدون معاناة وجهاد كما أوضحنا فى حديثنا سابقاً ، وسوف نتحقق من ضألة وتفاهة الاعتراضات التى وجهت ضد القيامة اذا ما تعمقنا فى حكمة الرسول خلال توضيحه لعقيدة القيامة لدى الكورنثيون ـ وربما قدموا اليه نفس الاعتراضات ضد القيامة التى سيقت فى حديثنا هذا من اجل زعزعة الايمان بعقيدة القيامة ـ وقد عزى الرسول جهلهم بنظريته الخاصة وقال «لكن يقول قائل كيف يقام من الاموات وباى جسم يأتون ، يا غبى الذى تزرعه لا يحيا ان لم يمت ، والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطة واحدة او احد البواقى ولكن الله يعطيها جسماً كما اراد ولكل واحد من البذور جسمه» (١ كو١٥ :١٥-٣٨) ويبدو لى انه ههنا يرد على الذين يجهلون المبادئ الاولية للطبيعة وايضاً هو يؤكد على قدرة الله اذ ان اعتقادهم ان الله يستطيع فقط ان يصنع ما يصنعونه هم ليس اكثر او فقط ما يستطيعون ادراكه اما ما يفوق ادراكهم فلا يصنعه الله ولا يستطيعه ايضاً .

فالشخص الذى سأل الرسول كيف يقوم الذى مات يعكس عملية اتحاد العناصر مع بعضها مرة اخرى بعد الموت ، ولان هذا يبدو مستحيلاً اذ ليس ثمة جسم يتبقى لكى تعاد عناصره اليه مرة اخرى فقد ساق هذا الشخص سؤاله كنوع من البراعة فى المحادثة .

ولسان حاله يقول اذا كان الجسم هو اتحاد مجموعة من العناص المعينة ـ ولكن ان كان من المستحيل اتحاد هذه العناصر ببعضها مرة اخرى ـ فاى نوع من الاجسام سوف يستخدمه الذين يقومون من الاموات؟

وهو ما يبدو متماشياً مع نظرياتهم الفلسفية التى يفكرون طبقاً لها ، ولكن الرسول

يخاطب غباءهم الذى لم يفطن الى قدرة الله الغير محدود والفائقة التى تتجلى فى كل المخلوقات .

انه لم يذكر معجزات الله وعجائبه السامية التى يصعب عليهم ادراكها كمثل ما هو الجسم السماوى ومن اين يأتى؟ ما هى الشمس والقمر او ماذا يظهر بين النجوم ، ما هو الاثير او ما هو الهواء او الماء ، او ماذا تكون الارض؟ ولكن بدلاً من هذا وجه اهتمامنا الى الاراء المعارضة المعروفة لدينا ، وتساءل أليس هذا يدل على غبائهم إذ أنهم يقيمون القدرة الالهية بمقاييسهم الخاصة ، اى بمقياس ان الجسم ينتج من نمو البذرة ، وماذا يأتى يهم الى نقطة الازهار؟

ويتساءل الرسول أليس هذا موت؟ إذ أن الموت هو تحلل الشئ المتماسك؟ لان البذرة لا تزهر ان لم تتحلل فى التربة اولاً اى انها تحلل فى التربة وتتداخل مع مسام التربة فتختلط بالطمى الذى حولها وهكذا تتحول الى جذر ثم تنبت ولا تتوقف عند هذا الحد بل تتحو الى جذع له مقاطع محاطة بفروع من اجل ان تحتفظ بالحبوب فى وضع رأسى متجه لاعلى فلا تسقط الحبوب .

فاين كانت هذه الاجزاء كلها قبل وضع البذرة فى الارض وتحللها فيها؟ بالطبع قد نتجت هذه الفروع من البذرة ، لانه ان لم تكن البذرة موجودة قبلاً فهناك إستحالة فى وجود هذه الفروع والحبوب فيما بعد .

ومن هنا تماماً مثل الحبوب التى تنتج من البذرة فان القدرة الالهية تصنع هذا واكثر فتأتى بحبوب من الشئ الذى ينتجها وهو البذور وهذه الحبوب ليست مشابهة للبذور تماماً وليست مختلفة عنها تماماً بل هى شئ والبذور شئ آخر .

وهكذا يقول الرسول ان عقيدة القيامة تتضح لنا فى المعجزات التى تحدث للبذور ، فقدرة الله الفائقة المعرفة لا تعيد انتاج البذور فقط ولكنها ايضاً تضيف ملامح اخرى عظيمة وعجيبة تضيف الى الطبيعة روعة وجمالاً بارعاً لانه يقول عن قيامة الاموات «يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يزرع فى هوان ويقام فى مجد ، يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً» (١كو١٥ :٤٢-٤٤) .

لانه كما ان البذرة بعد ان تتحلل فى التربة ـ وتترك مكانها فراغاً كمياً واختلافاً فى

الكيف ـ لا تنمو الى نفس شكلها ومع هذا تظل باقية كما هى بالرغم من أنها أصبحت فى شكل جذع ممتلئ بالحبوب وهذا منظر مختلف تماماً عن منظر البذرة الأصلى فى الحجم والجمال والتنوع البيئى (النوع النباتى) والشكل .

وبنفس الطريقة فأن الطبيعة البشرية ايضاً بالموت تترك كل صفاتها المميزة لها والتى اكتسبتها بالاتحاد بالخطية وأقصد بهذا الهوان والفساد والضعف واختلاف مراحل العمر ولكنها لا تعود الى الحياة بنفس طبيعتها بعد ان اصبحت لها طبيعة روحية فى حالة عدم خطية دائمة .

ولكن هذه الصفات السابقة تميز الجسد الحالى الذى من خلال الحركة المستمرة يتحول من الحالة التى عليها الى حالة اخرى ، ولا شئ من الجمال الذى نراه الآن ـ ليس فى الانسان فقط بل فى النبات والحيوانات ايضاً ـ سوف يبدو فى الحياة الآتية ، وكلمة الرسول ـ من رأيى ـ تدعم بالتفصيل رأينا فى القيامة ويبرز لنا تعريفنا للقيامة الذى قلناه ـ وهو ان القيامة ليست إلا إستعادة طبيعتنا لحالتها الأولى التى كانت لها قبلاً .

ونحن نتعلم من الوحى الإلهى الذى يقول انه فى بداية العالم انتجت الارض عشباً أولاً ثم جاءت البذور ، وعندما سقطت البذور على الارض انتجت نفس الفصيلة التى نمت فى البداية ، وهذا بالضبط ما قاله بولس الرسول عن القيامة ، نحن نتعلم ليس هذا فقط من الرسول ولكن ايضاً من ان يكون فى الحالة التى أوجده الله بها فى البداية .

لانه ليست الحبوب هى التى جاءت أولاً فى البداية ولكن البذور هى التى أتت قبلها ثم بعد هذا نمت الحبوب من البذور ، وهذا التسلسل الطبيعى كما ذكرناه الآن يوضح جلياً ان الله المبارك سوف يعود بنا الى حالة النعمة الاولى التى كنا عليها ، ففى البداية كنا نحن ايضاً حبوباً ثم بعد ذلك احترقنا بنار الشر ، والارض التى استقبلتنا بعد الموت عندما تحللت أجسادنا فى ثراها تعود فتعطى بدلاً من الجسد الذى تحلل ، بذرة (نبات) او اذن (انسان) او قرن (حيوان) .

فهذه الحبة المجردة من اجسادنا ـ هى عظيمة وقوية ومنتصبة حتى لتصل الى السماء وهى فى حالة عدم فساد وخالية من كل الصفات التى لا تليق بالطبيعة المقدسة السمائية

،هكذا يكون حال الجسد بعد القيامة .

لان الرسول يقول ان الفساد يقوم فى عدم فساد ، ولكن عدم الفساد والمجد والكرامة والقدرة هى صفات خاصة تتميز بها الطبيعة الالهية .

وهى موجودة بحذافيرها فى من صنع على صورة الله ومثاله وهى نفس الصفات التى نرجوها ونسعى الهيا مرة اخرى بعد القيامة .

ان الحبة الاولى هى الرجل الاول (اى اول انسان خلق) اى ادم ، ولكن عندما تغيرت طبيعتنا بمعرفة الشر تماماً مثل ما يحدث عند حصاد الحبوب فإن الإنسان فقد النموذج المثالى الذى خلق عليه وبعدما يختلط بالأرض خلال أعداد لا حصر لها من البشر سوف تقوم ، وسوف تكون الحياة المقدسة التى عاشها البعض متميزة عن الحياة الشريرة التي عاشها البعض الآخر بالأتى: فالذين زرعوا القداسة وسقوها باستمرار سوف يصيرون فى الحال نباتاً كاملاً رائعاً ، اما الذين شوهوا قداستهم باتحادهم بالشر سوف يقعون على القرون ، كما يقولون بلغة علماء النبات .

وحتى عندما نحيا ثانية بعد القيامة فإن هؤلاء سوف يدينهم الله بعدله ولن تكون لديهم القدرة الكافية لان تعيدهم لصورة النبات الاصلى وسوف يصبحون فى الحالة التى كانوا عليها قبل أن يسقطوا على الأرض .

ومهمة الزارع هنا هى جمع الأغصان مع الأشواك التى تنمو بجانب البذور ، وهذه الاشواك تأخذ عذاء النبات وتحرمه منه فتصبح البذور الاصلية غذاؤها قليل ونموها بطئ ويخنقها الشوك ، فعندما يجمع الزارع هذه الاشواك ويحرقها حينئذ ستصبح النباتات جيدة التغذية وسوف تزهر فى ميعادها والفضل لعناية الزارع الفائقة بها .

وبعد زمن طويل سيستعيدون مرة ثانية الصورة التى جعلهم الله عليها فى البداية ، مباركين هؤلاء الذين يصلون الى كمال النمو فى الحال (النبات الكامل الرائع) ولسنا نقول هذا لان هناك بعض الاختلاف الواضح العقلانى بين الذين عاشوا فى البر وهؤلاء الذين عاشوا فى الشر .

ولا لأننا نعتقد ان هناك من يكون كاملاً فى حياة الجسد ومن لا يكون كاملاً ،

ولكن الفرق سوف يكون كمثل الفرق بين إنسان يعيش فى القيود وإنسان آخر يعيش حراً ، إنها مسألة متعة وألم .

وهذا الاختلاف هو الفرق الذى نتوقعه بين الجيد والردئ فى الزمن الأتى ، لان كمال النمو من البذرة قال عنه الرسول انه يتضمن عدم الفساد والمجد والكرامة والقوة .

ونقص شئ من هذه الاجساد ليس معناه انها ستكون مشوهة ، ولكنها سوف تكون غريبة عن ما نعتبره نحن تحت عنوان البر والفضيلة ، لأننا يجب ان نكون فى احد الصفين المتضادين اما مع البر او مع الشر ، وغنى عن التعريف ان الذى لا يقف فى صف البر إنما ينضم لصف الشر ، ومن المؤكد انه مع الشر ليس هناك مجد او عدم فساد او قوة او كرامة ، ولكن من يقف مع الشر سوف يتصف بالصفات المضادة لما ذكرناها اى يتصف بالضعف والهوان والفساد وكل الصفات التى اكتسبها الانسان منذ معرفته للشر .

وشهوات النفس التى لصقت بها بسبب الشر من الصعب انتزاعها لانها تكون قد اختلطت وامتزجت بالنفس ونمت معها واصبحت شيئاً واحداً لا يتجزأ .

كتب للقديس اغريغوريوس أسقف نيصص تم ترجمتها

١) من مجد الى مجد

٢) حياة موسى النبى

٣) من هو المسيحى؟

٤) الكمال المسيحى

٥) السلوك المسيحى

٦) النفس والقيامة

✝

بمعونة الرب الكتب التى أصدرها
القمص أشعياء ميخائيل

١ - حياة الشركة الباخومية (ترجمة) ٠
٢ - الروحانية الباخومية (ترجمة)٠
٣ - من مجد الى مجد (ترجمة) ٠
٤ - أقوال وعظات القديس دروثيؤس (ترجمة) ٠
٥ - سياحة القلب (ترجمة) ٠
٦ - أقوال القديس مرقس الناسك (من الفيلوكاليا - ترجمة) ٠
٧ - أقوال القديس نيللوس السينائى (من الفيلوكاليا - ترجمة) ٠
٨ - أقوال القديس دوروثيئوس (من الفيلوكاليا - ترجمة) ٠
٩ - أقوال القديس أوغريس والقديس أنطونيوس (من الفيلوكاليا - ترجمة) ٠
١٠ - رسالة الإنجيل فى المفهوم الأرثوذكسى (ترجمة) ٠
١١ - الحياة المسيحية للقديس أوغسطينوس (ترجمة) ٠
١٢ - العبد المتألم (ترجمة) ٠
١٣ - ثمار الروح القدس (ترجمة) ٠
١٤ - حياة الأنبا شنوده رئيس المتوحدين ٠
١٥ - إسمه يسوع (أقوال آباء - ترجمة) ٠
١٦ - حياة موسى النبى للقديس أغريغوريوس أسقف نيصص (ترجمة) ٠
١٧ - رحمة للتائبين ٠
١٨ - حياة صالحة للمتزوجين ٠
١٩- صلاحاً للأغنياء ٠
٢٠ - شفاءً للمرضى ٠
٢١- سهل لنا طريق التقوى ٠
٢٢ - وحدانية القلب ٠
٢٣- المسيح في الأسرة ٠
٢٤ - التربية الروحية ٠
٢٥- بين الإيجابية والسلبية ٠
٢٦ - الأبدية ٠
٢٧- لماذا ؟
٢٨ - كيف ؟
٢٩- رسالة الى حاملى الصليب ٠

٣٠- العفة بين يوسف وداود ·
٣١- الحكمة والمشورة بين أبيجايل وإيزابل ·
٣٢- ثياب الرب · ٣٣- أنظروا يدىّ ·
٣٤- تأملات عند قدمى الرب · ٣٥- السلام الداخلى ·
٣٦- لا تخف · ٣٧- طبلية عم حنا ·
٣٨- رداء عم دانيال (ماذا بعد الموت) عربى وإنجليزى ·
٣٩- بطرس صياد الجليل · ٤٠- رسالة تعزية ·
٤١- الإشبين · ٤٢- الشباب والمستقبل ·
٤٣- القديس إيسيذوروس الإسكندرى ·
٤٤- القديسان ديسقورس وأسقلابيوس ·
٤٥- التدبير الروحى فى رسائل القديس بولس الرسول ·
٤٦- القديسة إيلارية · ٤٧ - الشك ·
٤٨- كيف يقام الأموات ؟ ٤٩ - بتولية التائبين ·
٥٠- لقاء · ٥١ - الرجوع ·
٥٢- القديس إسحق الدفراوى ·
٥٣ - الفاهمون ·
٥٤- من هو المسيحى (للقديس إغريغوريوس أسقف نيصص) ·
٥٥- الكمال المسيحى (للقديس إغريغوريوس أسقف نيصص) ·
٥٦- السلوك المسيحى (للقديس إغريغوريوس أسقف نيصص) ·
٥٧- صلوات القديس مارإفرام السريانى
٥٨- معاً · ٥٩ - الفهلوة ·
٦٠- البابا المعلم · ٦١ - الخلاف بين الأهل والأبناء
٦٢- هؤلاء علمونى ·




السعـر جنيهان